سفاح جبال بكر

مستوحاة من أحداث حقيقية

مي ياقوت

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

الطبعة الأولى
الكتاب : سفاح جبال بكر
تأليف : مي ياقوت
تصنيف الكتاب : رواية
مصمم الغلاف : محمد على
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٩٢٥٠ / ٢٠١٨
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 04 - 5

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الوهاب

محفوظة جميع الحقوق

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01003897918
Alkanzy.co@gmail.com
Facebook.com/Alkanzy.com
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

هـذه الروايـةُ مستوحاة مـن وقائع حقيقيـة.. أحداثهـا وقعـت فـي الفتـرة مـا بيـن ٢٠١٠ أي قبـل ثـورة ينايـر وحتـى ٢٠١٦.. هـذا لا يعنـي أن الخيـال لا يلعـب فيهـا دورًا خصبـا نابضـا، بالإثـارة والتشـويق وإيجـاد شـخصيات لربـط الأحـداث!

إهداء

أهـــدي هذا العمـــل إلى (الحوادثجيـــة) صحفيي الحوادث الذين يتعاملون يوميـــا، مع وقائع وأحداث وقصص إنســـانية، تجعـــل أيامهم مليئـــة بالأحداث الـــتي تفـــوق الخيـــال.. إلى صحفيـــي التحقيقات الأمنيـــة، الذين يبحثون بِجِـــدّ وراء القضايا ليصلوا إلى الحقيقة كاملة مؤمنين برســـالتهم الصحفية.. أهديه إلى شقيقتي التوأم، السند الحقيقي في الحياة، وإلى شقيقي الكبير صاحب القلب الحنون، وإلى أخي الأصغر الذي أعتبره ابنا لي وليس شـــقيقا.. أهديه إلى عرابي، وصديقي الصدوق، وإلى كل من ساعدني وحـــاول أن يأخذ بيدي للأمام!

أشكر كل من حاول هدمي أو الوقوف أمام طريقي أو إحباطـــي، ففي النهاية ما فعله كان له بالغ الأثر بنتيجة عكسية، فأنا من أكثر المؤمنين بأن (عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)!

وقبل كل هذا، أشـــكر الله الذي جعلني في وسط زخم كبير، بين فرح وحزن، شـــكل شخصيتي وجعلني أنظر للأمور نظـــرة مختلفة ووضع في طريقي الكثير من الأحـــداث التي خرجت منها الروايـــة، وأنه دائما كان عونـــا لي في أحلك الظروف!

سفاح جبال بكر

مستوحاة من أحداث حقيقية!

يوم عادي كغيره مـــن الأيام التي أبدؤها بفنجان قهوة ســـادة، تتماشـــي مرارتة مع مـــرارة الملل وتبلّد المشـــاعر التي تصيبني في بعض الأيام.. حالة غريبة لا يعرفها إلا صحفيو الحوادث والضباط والأطباء.. تلـــك المهن الـــتي تختلط كثيرا بمصائـــب الناس محتكـــةً بقصص مؤلمة فكل شـــيء متوقع أو أقل من العادي رغم كونه مصيبة عند غيرهم.. ألقى أمامي (عم إبراهيم الســـاعي) ذو الصوت الضخم، بخطابات كثيرة جاءتني عبر باب المراسلات الخاص بي (حكاية سجين).. قال لي: مبروك يا ستي الجوابات نازلة ترف عليكي وجيالك بالاسم أهه.

كنـــت وقتها ما زلـــت تحت التمريـــن.. كانوا يقولون: إنني صحفية (بســـكوتة صعب أكلها) فعلى

الرغم من وجود لمسة جمال، إلا أنني تحديت أنوثتي واخترت المجال الأكثر صعوبة، قسم التحقيقات الأمنية، فكثيرا ما كنت أفاجئ رؤسائي، بتنكري في أماكن خطرة لكشف أوكار تجارة المخدرات والسلاح، وما إلى ذلك؛ لذا كان من الطبيعي أن أحتكر باب حكايات سجين الذي اقترحت فكرته، على رئيس التحرير كمكافأة لكل الخبطات الصحفية، التي أهّلتني للتعيين في إحدى أكبر الجرائد القومية في مصر!

اتصال هاتفي جاءني من (عبد الوهاب صميدة) صديقي الصعيدي وزميلي الذي يكبرني بسنوات، في العمر والخبرة والذي حصل على عدد من الجوائز المهمة، رغم أن عمره لم يتجاوز بعد ال ٣٥ عاما.. كان يحدثني عن رغبتة في عمل تحقيق صحفي غير مألوف يخرجنا من حالة الملل التي بتنا فيها أكثر من اللازم، وكأننا أصبحنا نهواها.. لم يستطع حديثه رغم طرحة لأفكار جديدة أن يخرجني من حالتي، غير أن رسالة وقع نظري عليها وأنا أقلب في رسائل السجناء استطاعت أن تستفز فضولي.. فمن دون الرسائل كلها كان مظروفها ليس ضخمًا.. ليس

مملوءًا بأوراق كثيرة لحكاية طويلة يسرد فيها من خلف القضبان، أدق التفاصيل وكأنها ستخرجهم من الظلمات إلى النور، بعد أحكام رادعة قد تصل للمؤبد.. من بين رسائلي اخترتها لأفتحها.. كانت ورقة واحدة مطوية عدة مرات وكأن صاحبها قد أعاد طيها وفتحها أكثر من مرة.. كأنه يخشى على المظروف حتى من قراءتها فسطورها القصيرة كانت تحمل سره الكبير، كان أول سطورها يدل على أن من بعثها شخص متعلم وعلى درجة من الثقافة، وليس مجرد سجين عادي.

(سيدتي إن وصلت إلى يديك فاعلمي أني أريدك أن تقرئي رسالتي، بقلبك وبصيرتك لا ببصرك ومنطوق الحكم).

شيءٌ ما جعلني أغلق الهاتف مع عبد الوهاب معللة ذلك، بوجود ضيف قادم لي بالمكتب على أن أعاود الاتصال به ليلا فالرسالة أثارت فضولي، لدرجة جعلتني أقرأ سطورها باهتمام بالغ!

(قلمك أجبرنا على مراسلتك.. سيدتي أنا السجين رقم ٦٧٨ بشديد الحراسة بالعقرب.. أنا ٦٧٨ المحكوم عليه بالإعدام وتم تأييد النقض عليه

لمرتـــين، ولم يتبق أمامـــي الكثير لتتـــدلى رقبتي، أنا وشقيقي وصديق عمري، من على حبل المشنقة لينعم مـــن ظلمنا ببيتنا وبترقية.. أنـــا ٦٧٨ الذي ظل ل ٨ ســـنوات يرتدي البدلة الحمراء، أملا في بصيص أمل من خلال خطوات التقاضي.. أنا ٦٧٨ معلم الأجيال ووالد الطفلين، الذي تحـــول فجأة إلى متهم بالقتل ومحالـــة أوراقه للمفتي، وعار يلاحـــق عائلته دون أن يرتكب إثمًا ســـوى أنه وقع ضحية لضابط فاســـد.. أبعث إليك ولست بظالم، وإن قال قاضي الأرض الذي ضللوه، بقرائن ليس لها ســـلطان: إنني ظلمت نفسي ومـــن حولي فكتب علىّ الـــذل والموت والخزي.. ربما كان حلمي إنقاذ رقبتي من يد عشـــماوي بات حلمًا صعب المنال، ولكن أملي غسل السمعة وترك إرثٍ ينقذ أولادي من العار الذي يلاحقهم بات هدفا لي.. أثبتي براءتـــي وإن وراني الثرى، ومدي لي مداد قلمك عله ينقذ سمعتي من الوحل)!

رغم أن الرســـالة أعـــادت لي الحماســـة، إلا أنني وبعد الانتهاء منها ابتســـمت.. فالكثير من السجناء يتوحدون مع قصص من خيالاتهم حدثت ســـطورها، يعني حكـــم إعدام وحكمان بالنقض بالتأييد ومظلوم

إزاي يعني؟.. مزقت الرسالة دون اكتراث.. حملت حقيبتي بعد أن قررت أن أمشي في وسط البلد.. رياضة المشي بالنسبة لي تريح أعصابي وقراءة وجوه الناس وانفعالاتهم المختلفة يرضي فضولي ويثري أفكاري.

دخلتُ إلى الكافية الشهير الذي اعتدت شرب قهوتي فيه.. كان كل شيء طبيعيًا.. ذهبت لأغسل يدي.. رأيت حجرة مظلمة شبه مفتوحة الباب.. كنت أسمع منها أنينًا عجيبا.. شيء ما خطير يحدث في هذا المكان!

دفعتُ الباب في حذر.. بعد أن راقبت بعيني عدم قدوم أحد.. كانت الحجرة مظلمة لا ترى فيها يديك.. تحسست جيبي وأخرجت هاتفي بعد أن عبثت فيه سريعا لأضغطت على أيقونة الكشاف.. ضوؤه لم يكن عظيما ليهزم سرمدية الغرفة العجيبة غير أن نوره المتواضع بدأ يبحث معي عن مصدر الأنين.. هناك رأيته جالسًا بجسده الضخم في وضع الفرفصاء.. قشعريرة رعب أصابتني وأنا أدقّق لأحاول رؤية وجهه الذي كان يخبئه بين فخذيه.. جسده هزمته رعشة غريبة.. اقتربت منه: في إيه.. ما لك.. حكايتك إيه؟ طب تعالى اخرج.

فأشار بيده إلى قيد حديدي يكبل قدمه.. حاولت فكه فلم أســـتطع.. قبض على يدي لتنتقل رعشـــة خوفه إلى جســـدي.. صرخت: سيبني.. سيبني.

رويدًا رويدًا بدأ يرفع رأســـه.. كان منظاره الطبي منزلقًا قليلًا.. ظهرت عينه الجاحظة بوضوح.. ازداد خوفي.. نظرة عتاب غريبة من شخص لم أعرفه طوال حياتي، أصابتني بالخرس.. كان عرقي يتصبب فيما هـــو ظل يحدق في وجهي.. ثمة خيـــالات دموع باتت تغرق مقلتيه قبل أن يظهر شـــخص من خلفه.. في ثانيـــة وضع حبل حول عنقه.. بدأ في شـــنقه وازداد جحوظ عينيه وازداد ضغطه على معصمي.. لم أكن أصدق ما يحدث!

***

الحلقة الثانية.. الشبح

كان منظـــاره الطبي منزلقا قليلا.. ظهرت عيناه الجاحظة بوضوح.. ازداد خوفي.. نظرة عتاب غريبة من شخص لم أره طوال حياتي، أصابتني بالخرس رغم تولد شـــعور غريب عندي بســـابق معرفة مجهولة.. ذاكرتي لا تســـعفني مطلقًا أين ومتـــى رأيت وجها مميزًا بتفاصيل كهـــذه.. كان عرقي يتصبب فيما هـــو ظل يحدق في وجهي.. ثمة خيـــالات دموع باتت تغرق مقلتيه قبل أن يظهر شـــبح من خلفه.. يا ربي ما الذي يحـــدث؟.. قبل أن يســـتوعب عقلي وجود الشـــخص الثاني الذي أخفى الظلام وجهه.. وضع حبلًا حـــول عنقه.. بدأ في شـــنقه.. وازداد جحوظ عينيه ليزداد ضغطه على معصمي.. لم أكن أصدق ما يحدث.. صرخت لأستيقظ من نومي وأوقظ معي

كل من في شـــقتنا.. لم يكن حلمًا، كان كابوسًـــا فظيعًا لم أستطع النوم بعده.. قالت لي أمي: إنه من إرهاق اليوم، الذي ختمته بالمشـــي لمدة طويلة لأفاجأ بأنني أمام عمارتنا التي تبعد عن مقر الجريدة مسافة محطتي مترو.. تفاصيل الحلم أو بالأحرى (الكابوس) لم تفارق يومـــي الثاني الذي عدت بعده أكثر إرهاقًا لأغرق في ســـبات عميق، ليأتي لـــي العملاق المجهول ويتكـــرر نفس المشـــهد.. هذه المـــرة كانت الحجرة مكتوبًـــا عليها لافتة تحمل رقم (٦٧٨)!

اســـتيقظت وصوت أذان الفجر يملأ الحجرة.. لم أصرخ هذه المرة.. لم أستطع إكمال نومي.. طوال اليوم سيطر الرقم على ذاكرتي، كنت قد نسيته تماما.. لم أتذكره مطلقًا.. في الليلـــة الثالثة تهيأت لرؤية حلمي، فنمت وانتظرت قدوم العملاق المرتعش، صاحب المشنقة، ذي الشارب الذي يأكل نصف ملامح وجهه.

جلس يحـــدق في عيني وعلى شـــفتيه ابتســـامة عجيبة.. ما هذا.. هذه التفاصيل الغريبة المتناقضة تربكني حقا.. انتظرت قدوم صاحب المشـــنقة إلا أنه لم يظهـــر.. هو ظل يحـــدق فيّ بثقـــة بالغة أصابت جسدي بقشـــعريرة.. مد يديه الضخمتين.. كانتا

هذه المرة مقيدتين ببعضهما وليس بالأرض.. لم أشعر بالخوف.. اقتربت مستسلمة له.. أعطيته يدي التي بدت وكأنها يد طفل بين قبضتيه.. قال: (أنا ٦٧٨).. مش فاكراني؟.. أومأت برأسي نفيًا فيما كان صدى صوته يعيد ما قاله بشكل دوري.. تنهّد ونظر إلى يدي وقال: إنتي بقه (فريدة علم الدين).. الإيدين دي قطعت، بتعرف تقطع كويس.

استيقظتُ فزعة من نومي.. لم يكمل جملته.. أخيرا ربط عقلي ما يحدث.. إنه هو (٦٧٨.. سجين العقرب) الذي بعث لي برسالة أنه سيعدم خلال شهر وأنه بريء.. ما هذا!.. هل هذه رسالة ربانية؟.. هل هو حقا بريء؟.. هل عقلي الباطن يصور لي أضغاث أحلام لغرابة القصة؟.. ارتميت برأسي على مخدتي.. أسبلت جفنيّ هربًا من شتات التفكير... باتت أسئلة معينة تسيطر على حالتي.. يا تري ما شكل السجين ٦٧٨.. هل يمكن أن يكون زائر الحلم المجهول؟.. لا، لا يمكن أن يرتبط الواقع بالخيال لتلك الدرجة.. بالتأكيد سيكون شخصًا بملامح أخرى.. ولكن ماذا لو كان هو؟!.. الفكرة أصابتني بقشعريرة مرعبة!

***

الحلقة الثالثة.. ورطة

ارتديتُ ملابسي في عجلة.. لم أقف أمام مرآتي طويلا أتلكع كعادتي، توجهت إليه، (اللواء محسن السجيني)، كان من أوائل من تعرفت عليهم خلال العمل وعلاقاته، كان يحبني جدا، ويعتبرني ابنته التي لم تهبها السماء له فلم يرزقه الله بالأولاد رغم كل محاولاته، رحب بي داخل مكتبه بمنطقة السجون المركزية، كنت أعلم أن صوفيته ستمنعه من أن يعارضني، فهو مؤمن بالرؤى وموقن بتفاسير الأحلام، ومحب لأولياء الله الصالحين، قصصت عليه حلمي العجيب المتكرر، أفهمته أن لقاءً واحدا يجمعني بـ(٦٧٨) لدقائق معدودة سيجعلني قادرة على ربط مجريات الأمور، رفض اللواء السجيني في بادئ الأمر اللقاء لمخالفته لقواعد زيارات السجن،

إلا أن إيمانه بصوفيته التي تؤمن بالشفافية والرسائل الربانية، إيمانا عميقـــا جعلته يعدني بتدبير لقاء لا يكسر لوائحه لأتمكن من رؤية (٦٧٨) بشروط أولها ألا أحدثه مهما حدث، فهذا أقصى ما يســـتطيع تقديمه لي!

بعد يومين وردني اتصال منه، طوال الطريق كانت قشـــعريرة تصيب قلبي كلما تخيـــل عقلي الرافض للأمور، أن عملاق الأحلام الغامض هو ذاته (٦٧٨)، لمح اللواء السجيني في عيني تلهفا للقاء الغريب، فلم يشأ أن يجعلني أنتظر فمضى ليريني أين يقبع سجيني.

(عنبر الإعـــدام).. ابتلعت ريقي وأنـــا أقرأ تلك اللوحـــة المعدنية التي يأكلهـــا الصدأ، حروف منذرة بالموت وهيأة توحي باليأس، دَلِفْتُ خلفة بسرعة.. توقف عند زنزانة في منتصف العنبر وأشار لي للنظر.. قلبي يكاد أن يتوقـــف؛ فنافذة حديدية تفصلني عن لحظة الفصل.. بعينين تبحثـــان عن ملامح معينة حاولت أن أدقـــق النظر.. رجل ضخم ينهي صلاته، الكثيرون ممن ينتظرون الموت ولا يرتـــدون إلا بدلة بلون الدم تذكرهـــم بآثامهم، ونتيجتها يمضـــون أوقاتهم بين الصلاة وقراءة القرآن أو الأناجيل، الموت يقلب أبالسة

البشـــر إلى ملائكة، يطلبون الصفـــح ويتمنون لو أن الزمن يعود لوهلة.

لم أســـتطع رؤية وجهه.. انتظرت تسليمتيه بفارغ الصـــبر، حتى يلتفـــت فقد كان شـــغفي في تلك اللحظـــة واصلًا لذروته.. التفـــت في بطء.. التفت أكثر وأكثر، لم أشعر بنفســـي إلا وأنا أطلق شهقة تســـببت في لفت نظر (٦٧٨) الذي يجهل من أكون؛ وبالتالي تســـببت في غضب اللواء الســـجيني، الذي أمرنـــي بالانصراف معة فورًا لخرقي لشـــرطه الذي اتفقنا عليه فانســـحبت في هدوء.

(أواخر ٢٠١٠م)

في قسمنا الكبير الذي يضم ٧ مكاتب بينهم مكتبي الذي اخترته منعزلًا قليلًا، لعدم رغبتي في الدخول في قيل وقال، يجبرني على الاســـتماع لحكايات أكرهها من النميمة والنفاق، فحال مكتبنا المليء بشخصيات متناقضـــة، لا يختلف عـــن كافة مكاتـــب المصالح والمؤسســـات الحكومية وإن زاد فمهنتنا هي الكلام.

رغم حالـــة العزلـــة، لم أنعم بما كنـــت أتمناه، فسرعان ما اكتشـــفت أن الحل الوحيد للنجاة من

تلك الأحاديث السخيفة والتصرفات المريضة للبعض منا، هو صم أذني بســـماعات الهيد فون التي تنطلق منهـــا أغنيات فيروز؛ لتنقلني إلى عالم هادئ بعيدًا عن صخب مقرف.. مَهَرْتُ بصمتي وترجلت بخطى وئيدة نحو مكتبي.. كانت تزعجني الكثير من الأشياء داخل جدران قسمي.. الذي لا ينضب من أحداث لا تنقطع ولا تخلو من الإثارة والأكشن!

قســـم التحقيقات الأمنية.. نظـــرت إلى اللافتة البراقـــة التي وضعت على بابه، الحوادث وما أدراك ما الحوادث! عالم خاص مليء بأســـرار النفس البشرية ومرتبط بكل أمور الحياة، جلســـت بين أوراقي وبعض الكتب، كنـــت تحت التمرين في قســـم كبير كان أصغر أفـــراده قد تجاوز الأربعين بعـــدة أعوام، بينما كنت في أوائل العشرينات، لا أحد يتخيل الفجوة التي كانت تغلق كل طريقـــة للنقاش أو عرض للأفكار، فالكل ينظر لك على أن كفاءتك قادتك لتصبح أحـــد أفراده ومع ذلك يغضـــون النظر عنها، كانوا ينظرون لك علـــى أنك ما زلـــت صغيرا واسمك المكتوب بالقلم الرصـــاص، مثلما يقولون عائقًا لأي اعتراض أو بوح برأي، في ذلك القسم تعلمت أن أخذ

الحق حرفة وأنه رغم التدليس المستمر فإن احترامك لذاتك ومواجهتك للأمور ستكسر (زبانية القوم)!

تفكير عميق غرقت فيه.. صدمة أمس برؤية (محمود شفيق) أو السجين رقم ٦٧٨ ما زالت تؤثر على عقلي.. هاتفت اللواء السجيني على أمل إقناع سجينه بمحادثتي إلا أنه ذكرني بخرقي لقواعد السجون، وتصريحي الذي كان بغيضًا بالنسبة له خاصة وأنه أدخلني إلى العنابر المحظورة.. رفض أن أحادث العملاق تمامًا وأغلق الهاتف، توقف عقلي عن التفكير، فبسبب تسرع أحمق مزقت رسالته لتتوه أول خيوط حكايتة التي تبنتها كتحقيق إنساني من نوع خاص، رن هاتفي مرة أخرى، كان هو، اللواء السجيني، اعتقدت أنه سيطيب خاطري على الطريقة الفجة التي حدثني بها، فلم أعتد منه على ذلك.. قبل أن أنطق بكلمة، قال في حزم: فريدة، ابعتي له جواب للسجن.. ابعتي أنه ده ردك على جوابه وإدارة السجون هتسلمهوا له. قالها وأغلق الخط.. ابتسمت ابتسامة امتنان، لوائي طيب القلب دمث الخلق، الذي يعطيك مثال عملي، أن رجل الداخلية إنسان بدرجة ضابط.. لم أكن أعرف ماذا أكتب له.. هل سأخبره

عن تمزيق الرسالة.. عن عدم اقتناعي بحكايتة أصلا والتي لم أعرف تفاصيلها بعد.. ماذا أكتب لإنسان ينتظر حكما بالإعدام مزقت آخر أمل له.

(رسالتك وصلت، وأرجو أن ترسل لي عنوان أول خيوط براءتك، مثلما قلت أخيرًا). بعد تمزيقي لورق كثير قررت أن أرسل هذا الرد، لأنتظر بفارغ الصبر، أن تصل إلى يدية فالوقت بات يداهمنا.. لم يشغلني أن كان الحلم رؤيا أو أضغاث أحلام من ضميري الذي لامني، على تمزيق رسالة لم أعرف حكايتها.. فنجان قهوتي وقلمي والأرشيف الإلكتروني نبحث عن (جريمة ٦٧٨.. عن القاتل محمود شفيق).

***

حسناء باب الشعرية

ساعة من البحث وأخيرا..

وجدتُ كل شـــيء عنه، (محمود شـــفيق) البالغ من العمر وقت ارتكاب جريمتـــه ٣٥ عامًا، هو مدرس رياضيات بإحدى مدارس حي السيدة زينب، والمتهم هو وشـــقيقه الأصغر (علي) طالب كلية العلوم المتفوق دراســـيًا، والثانـــي على دفعته، والذي كان يســـتعد ليصبح أســـتاذًا جامعيًا لولا قيامـــه بالجريمة التي شـــاركهما فيها صديقُ طفولة الأول (حســـن ربيع) مدرس الرســـم وجارهما منذ زمن طويل.

لفت انتباهـــي المتهم الرابع الـــذي لم تربطه أي صلة أو علاقة بالمتهمين الثلاثة، ليشـــاركهما قضية قتل كتلك.. (حمادة الســـيد رمضان أو الشـــهير بحمادة شطة) مبلط الســـيراميك.. قضيتهم التي

مر عليها ٨ سنوات شغلت الرأي العام وقتها، لكون المتهمين الرئيسيين فيها معلمي أجيال فانهالت الأقلام بالمطالبة بإعدامهما في مكان عام.. الأربعة متهمون بقتل (بديعة الحسيني) الأرملة ذات الخامسة والخمسين ربيعًا صاحبة مدبغة باب الشعرية، بعد أن ذبحوها في شقة ملك الأول، وألقوا بها في ترعة المريوطية، باستخدام سيارة المتهم الثالث، وبمشاركة المتهم الثاني والرابع مبلط السيراميك، الذي استدرجها لكونه خطيبا لابنتها (وردة)!

المتهمون الأربعة صدر ضدهم حكم رادع بالإعدام، ليأتي النقض ويؤيد إعدام المتهمين الثلاثة، ويخفف الحكم لـ١٥ عاما على المتهم الرابع بدعوى أنه استدرجها فقط لسرقتها، ولم يكن يعلم بنية مدرس الإعدادي وشقيقه وصديقه بقتلها.

قضية صعبة.. مكتملة الأركان.. لماذا بعثت لي يا شفيق؟.. ماذا يمكن أن أراه ولم يره ثلاثة قضاة، أيدوا لقاءك بعشماوي؟! انتظرت ردًا لرسالته بفارغ الصبر، مضى يومان قبل أن أجد مظروفه مدسوسًا بين رسائل السجناء، بشغف فتحت رسالته كانت طيات ورقتها تعكس ثقة، وحروفه تعكس فرحة

غريبة بعكس رسالته الأولى، كتب فيها شكرًا لأنك مزقت رسالتي، صدقي أو لا تصدقي فقد جاءتني رؤيا، بأنك حولتها إلى أشلاء دون رحمة، فظللت أدعو رب السماء أن تحدث معجزة، وتعيدك لها وإن ضل منها العنوان، هذا العنوان عنوان وردة ابنة المجني عليها، وصدقي أو لا أيضا، فمن عندها تبدأ خيوط براءتي.. كان عنوانها موجودًا أسفل الورقة مع رقم هاتف واسم لمحام دعاه بـ(المتر حليم أبو النيل).. لم يكن حليم أبو النيل محاميًا عاديًا؛ فهو معروف بأنه محامٍ للقضايا الصعبة، وأتعابه تصل إلى مئات الألوف وهذا استوقفني قليلا؛ فكيف قبل قضية كهذه رغم أن المتهمين فيها لا يملكون من حطام الدنيا شيئا؟!

في حي باب الشعرية، كانت تسكن وردة التي ما إن وصلت إلى حارتها، بات واضحًا، أنها ليست مجرد شخصية عادية، دلوني إلى بيتها المكون من ثلاثة طوابق، ومن دردشة بسيطة يحبها أهالي تلك المناطق الشعبية، علمت أن البيت ورثته عن والدتها القتيلة، وأنها تسكن فيه هي وشقيقتها الصغرى، دققت بابها ولا أعلم لم تخيلتها فتاة بسيطة في كل شيء، في عقلها وشكلها، والحقيقة إنها كسرت توقعاتي، شابة

يافعة بعينين سـوداوتين واسـعتين، زاد من جمالهما الكحل وشـعر مجعد طويل بقوام ممشوق!

أي خدمة يا أبلـة؟.. قالتها وهـي تأكل علكة وتستند على باب شقتها.. قلت لها في تحسس: مدام وردة، أنا صحفية و...

قبل أن أكمل جملتي أغلقت الباب بقوة في وجهي، وهي تثرثر بسـخط وعصبية.. مـدام ال... مدام ال... شـايفاني لابسـة الجينز ولا في ديلي أورطة عيال؟.. خدنا منكو إيه يا جورنالجية غير الفضايح ووجع القلب؟.. لم أفكر في معاودة الدق عليها، فمعنى ذلك كان الدخول في مشاجرة حامية لن أخرج منها بأية مكاسب، وربما تغلق كل

أبـواب المحاولات للقـاء آخر، تسـكعت قليلا في حارتها، كان الجو حارا فجلست على المقهى الشعبي الشـهير، والحقيقة إن جلوس امرأة بين رجال المقهى كان وضعًا لافتًـا للنظر؛ لذا كان كل رواد المقهى والمـارة في الشـارع يراقبون تصرفاتـي بدقة؛ فقررت الهروب من نظراتهـم بطلب عناب سـاقع ومتابعة الأخبار على موقع جريدتي، أو هكذا تظاهرت فعقلي كان يشغله كيفية الدخول إلى شخصية مثل وردة..

ابتســـمت لمجموعة المعاشات، أو هكذا كانوا يطلقون على أنفســـهم لكونهم كبارا في السن فاستضافوني بفضول وترحيب، ووجدتها فرصة لأسأل عن الشرسة، لأجد طريقة لأروضها وتقبل بلقائي، الكل يحكي هنا على أنها اســـتطاعت أن تحل محل والدتها في المدبغة الخاصة بها، وهي الفتاة الـــتي كانت منعمة تماما، والشـــابة الجميلة التي أحبها رجال الحي وتســـارعوا لطلب يدها، إلا أنها أحبت مبلط السيراميك المتهم بقتل والدتهـــا، وأجبرتها على أن توافق عليه.

كوبايـــة العناب دي مين ياد يا عصفورة؟.. وضع مشروبي ونظر لي في قلق وقال: اشربي وامشي يا آنسة.. مش هيسيبوكي في حالك وهيقعدوا يدايقوكي.. مـــددت رقبتي لأنظر لمن خلفـــه، لأرى مصدر الصوت الضخـــم، تلاقت عينانا فتفحصـــني في وقاحة فعدت أدراجي، نظراته كانت مرعبة وغير مريحة.. ابتلعت ريقي وســـألت عصفورة عن الأقرع ذي الوجه المشـــوه بنصل ســـكين، فقال: ده (شـــيبة الأقرع) صبي (المعلم إبراهيم النص) ودراعه اليمين، وما تبصيلوش كتير ليعمل معاكـــي الصح.. أخرجت ثمن كوب العناب لأرحل إلا أن شـــلة المعاشات تشاجر أفرادها حول من

يدفع عني مشروبي، لأنني ضيفة، ثوان ووجدت الأقرع برجاله أمامي يأمرني بالجلوس وقال بلهجة شـــعبية فجـــة: إيه يا جميل.. رايح على فـــين؟!.. العناب ده على حســـابي.. احنـــا في ديك الســـاعة لما نجامل الحكومة.. فهمت من كلامه أنه اعتقد أنني مرشدة مباحث، والحقيقة أن جلوســـي على المقهي الشـــعبي المقابل لسكن وردة لأنتظر نزولها أملا في اللقاء، كان خطأ كبيرا أدركته بعد فـــوات الأوان، ففي حارتها أحد أكبر أباطرة تجارة الصنف، المنتشرة دواليبه في المنطقة والمنطقة المجاورة، والغريب هنا يربكهم ما دام ليســـت لديه الحجة القوية للتواجد، تجنبت النظر إليه متجاهلة ما قالـــه، وأخذت حقيبتي إلا أنه وقف أمامي وأخرج مطواته التي لا تفارق جيبه وصرخ: إيه يا بت.. مش عاجبينـــك ولا إيه.. دا أنا أعمل لك خريطة في وشـــك الحلو ده، ما تعرفيش عينك من ودانك.. مـــين بعتك.. لا يكون الشـــملول معاون المباحث.. ولا تكوني جورنالجية.. المعلم يا بت خيرة ع الكل. اختطف حقيبتي.. فتح محفظتي يبحث عن هويتي، جف حلقي وســـقط قلبي في قدمي!

***

الحلقة الخامسة.. طرف خيط

ازدرت ريقـــي بصعوبة وهو يفتـــح محفظتي ليرى هويتي، كنت أعلم أن كلمة صحفية ستثير جنونه، ولن ينجدني من ذلك الغول إلا معجزة.. وصلة ردح أتت مـــن بعيد أصابته بالارتبـــاك فالتفت ينظر إلى صاحبة الصوت الـــذي بدا مألوفا لديه..

اختطفت محفظتي منه، وأمســـكت بمعصمي وهي توجه حديثها إليه: دي ســـت جاية تعمل شـــغل مع المدبغة يا أخويا.. قولت لها: استنيني في القهوة هلبس وآجـــي لك.. آجي ألاقيكو فاضحنـــا قدام الأغراب، جاتكو القرف.. الحارة لمت.

حاول أحد صبيـــان الأقرع اعتراضها، فالتفت إليه وهوى بكفه على وجهه، ونظر إليها وقال: لما وردة زينة بنات الحتة تتكلم ما يتردش عليها.. تنفست بارتياح وهـــي تجذبني من يـــدي لتخرجني مـــن بين صبيان

الأقرع الذي كان ينظر لها بإعجاب بالغ، صعدت بي إلى شقتها دون كلمة، فتحت بابها ودخلت وهي تخلع طرحتهـــا البلدي، فيما وقفت علـــى الباب فقالت في غضب: ما تخشي ياختي هتفضلي واقفة برة؟ أصابني ارتبـــاك فدلِفت أجلس على أقـــرب مقعد، تنهدت في عصبية وأشارت لي لأغلق الباب.

قبل أن أشـــكرها قالت: العفو، وأكملت في حدة: لا.. ما أنا مش جيباكي عشـــان نرغي لا مؤاخذة.. أنا بت جدعة ولما شفتهم هيستفردوا بيكي على أساس إنك مرشـــدة قلت: ولية زيي أما أروح أنجدها منهم ليعرفوا أنها صحفية، تبقـــى مصيبة.. بعد ما البت الصحفيـــة فريدة أبصر إيه دي اتنكرت وراحت صورت للموكوس النص، دولابـــين بودرة وخلت الدنيا تقوم ما تقعدش، غـــير وهما مقفولين وعملت له لبش.

ابتلعـــت ريقي وقلت لها: أنـــا فريدة علم الدين يا آنسة وردة.. وضعت براد الشاي الذي كانت قد أوقدت نـــاره فور دخولها وخبطت على صدرها: يا لهوي.. يا نهارك إســـود.. يا قلبك يا شيخة ومش خايفة.. لا تكوني جيالي أساعدك عشـــان تصوري بقيت دواليب النص هنا.. قالوا لك: جدعة.. قلتي: أعمل عملتي

عندهـــا.. إكمني مبحبش النص ولا تجارته والحارة كلها عارفة مشـــاكلي مع الأقرع.. ابتســـمت لها وقبل أن أنطق قاطعتني: اسمعي.. ربنا ســـتر.. ده لو عرفوكي هيقطعوكي، أنا آه، ببهدل الأقرع، لكن مش قد النص وشره، يلّا خدي حاجتك ومن غير مطرود.

تجهّمـــت قليـــلا وخاطبـــت فيها جدعنتهـــا: أنا مســـتنياكي من الصبح وجعانة.. عالأقل شـــربيني الشـــاي.. نظرت لـــي بتعجب مصحـــوب بإعجاب، وكأنهـــا فهمت ما أفعله، وقالت: عزمتي نفســـك.. طب اقعدي عاملة مســـقعة باللحمة المفرومة.. بس تاكلي ومن غير مطرود. كنت أعلم معنى أن تأكل عيش وملح في منطقة شـــعبية، فهم يعتبرونك فيما بعد صاحب بيت، ومن المســـتحيلات أن تطردني وردة وأن أمامـــي فرصة ذهبية لأمســـك بطرف خيط.

صورتها الموجودة في كل مكان، كانت تشـــير إلى أن وريثـــتي البيت ما زالتا تعيشـــان القصة وأن الأمر يتعدى حدود الذكـــري، وضعت لقمة في فمي وقلت لها: الله يرحمها كانت ســـت جدعة. فردت بســـرعة وفخر: الجدعنة اتخلقت عشان بديعة حسني. تركت طعامها ونظرت بارتيـــاب وأضافت: انتي عرفتي منين

إنهـــا الله يرحمها.. تعرفي أمي منين؟.. آه صحيح لو منتيش جاية عشـــان النص، إنتي جاية ليه؟.. شربت بعـــض الماء وقلت لهـــا في حذر: جاية عشـــان بديعة حســـني، أو بمعني أصح اللي قتلوا بديعة حسني!

توقعـــت أن تنفعل وأن ينتهـــي لقاؤنا، فمن منا لا ينقبض قلبه إذا ذكره أحـــد بذكرى حزينة، إلا أن نبرتها انقلبت لحـــزن وقالت: فيه حكاوي ما بتمتش أبـــدا ومش هتتقفل إلا بطلـــوع روح كل اللي فيها. وأكملت: انتي جاية عشـــان الأستاذ شفيق.. هقول لـــك: يا ريتني مـــا قولت لها حاجة.. يـــا ريتني ما خليتها تنزل ولا اتخطبت له. قالتها وهي تتوجه نحو صورتها لتهيم في دنيا أخرى فمضيت وراءها، جلســـت على سرير المرحومة تتحسس فراشها الذي بدا وكأن أحـــدا لم ينم عليه بعدها، وقالـــت: أمي كانت كل حاجـــة في حياتي أنا وأختي.. في اليوم ده نزلت تجري ورجعت بعدها أختي (ليلـــى) بتترعش وما بتنطقش وفضلت كده لحد تاني يوم بالليل.. أمي ما رجعتش وابتديت أدور عليها في كل حتة، كنت فاكرة نظرات ليلى ليا عتب، لحد لما القســـم قـــال لنا: في جثة في زينهم.. ست مقتولة ومرمية في الترعة.. البيه كان

بيجري معايا في كل حاجة.. كان عامل بيحبها.. قتل القتيل ومشي في جنازته.. لحد لما المباحث جابته وقالت: إنه اللي قتلها وسرقها واتمسك بالدهب عند الصايغ وطبعا كانت صدمة عمري.. بعدها بيومين لقينا الأستاذ وأخوه وصاحه مشرفين وقالوا: قتلوها.

اقتربت منها في حماس: أيوا.. أنا جاية لك عشان الأســـتاذ وصاحبه.. هو ليه بعتلي عنوانك انتي؟.. ده انتي بنت الضحية.. المفـــروض... نظرت وقالت: الظلم وحش.. بعد ٣ شـــهور كنت بعالج فيهم أختي من الاكتئاب اللي جالها، وخلاها مبتتحركش من الســـرير ورافضة الكلام معايـــا، ونظراتها كلها لوم وكأني أنا اللي قتلتهـــا.. عاتبتها بأن فاض بيا من معاملتها ليه وإني مليش ذنب زيها، أنا مجرد ســـبب فأخيرًا نطقت وزعقت وقالتلي: إنتي الســـبب في قتل أمي.. انتي اللـــي أصريتي تتخطبي لواد ســـوّ زي ده رغـــم إنها مكنتش راضية.. ده مـــش قاتل وبس.. ده قاتل وظالم.. النـــاس اللي معاه دي معملتش حاجة وملهاش ذنب.. مش بيقول هو اللي جابها لهم بس.. لا هو اللي دبحها وسرقها!

***

الحلقة السادسة

مســـحت وردة دموعها وأجابت بتوتر بالغ، وكأن الزمن عاد لتعيش نفس اللحظة التي باتت ثقيلة على قلبها: قالت لي: إنها راحت ورا أمي.. طلعت العمارة اللي دخلتها عشـــان لقيتها اتأخرت.. العمارة كانت كلها لسه بتتشطب، فدورت في أي دور لحد لما طلعت ولقت ســـيد شـــطة بيكمل دبحها، فاستخبت ورجلها مقدرتش تشـــيلها، كانت صغيرة وخايفة، ولما عرفت إنهم قبضوا عليه ارتاحت شـــوية، بـــس جالها انهيار عصبي، لما شـــافت الأستاذ والاتنين اللي معاه، وقعدت تصرخ: معملوش حاجة.. معملوش حاجة.

تنهدت في راحة، فأخيرا أول الخيوط، ســـألتها هو أنا ممكن أقابل ليلى؟

لم ترد وردة التي بـــدت متوترة تغوص في ذكريات لا ترحمها، أغمضت عينيها واحتضنت مخدة والدتها وتركتني، لم أشـــأ أن أثقل على المســـكينة أكثر من ذلـــك، ورغم لهفتي للقاء ليلى بفارغ الصبر، فمفتاح أحد ألغـــاز القضية معها، ولتجيبني لمـــاذا لم تتقدم بالشـــهادة لتنقذ رقبة الثلاثة الآخرين، إلا أنني قررت الانســـحاب فالصحافة أيضا لها قلب.

نزلت على درجات السلم وكثير من الأسئلة تشغل عقلـــي، اصطدمت بهـــا فاعتذرت بهدوء فابتســـمت ابتسامة ملائكية قبل أن يناديها البواب: يا ست ليلى (عم حسين) جاب لك الكتب.. أطلعها لك؟.. ليلى الفتـــاة الجامعية التي تختلف كلية عن شـــقيقتها، ترتدي الجينز والتيشـــيرتات، والـــتي تجمع خصلات شعرها بشريط أسود سادة، فبدت من أولئك الفتيات اللاتـــي لا تهتـــم بمظهرهن رغم أنهـــا ورثت جمال شقيقتها، لم أشأ أن أوقفها فكفاني أنني فتحت جرحًا وأوقـــدت نارًا، من جديد عنـــد وردة، التي تركتها في حالة يرثى لها!

قادتـــني قدماي إلى مكتب عبـــد الحليم أبو النيل، الذي رحب بمقابلتي عندمـــا عرف أنني صحافية من

جريـــدة كبرى، اعتقد أنني قادمـــة لعمل حوار معه، اعترضت مبالغة ترحيبة وقلت له: أنا مش جاية عشان حضرتك يا أستاذ أبو النيل تحديدًا.. أنا جاية عشان محمود شـــفيق. تفاجأ قليلا وقال في اقتضاب: غريبة الحكاية دي، دي قضية فات عليها سنين والحكم انتهى فيها وخســـرتها، وما بحبتش أفتكرها، ثم دي أســـرار شغل مبطلعهاش لحد. قام من مقعده وقال في توتر: نورتي يا أســـتاذة.. لم أتحرك من مكاني وقلت له في ثقة: هو ســـؤال واحد بس.. أنت محام مشهور.. دفع لك أتعابك منين.. قبلت القضية دي ليه؟

بدا على ملامحه الانزعـــاج وقال في عصبية: إنتي جاية ليه بالظبط؟.. إيه اللي فتح القضية دي تاني وانتي معانا ولا علينا؟.. ابتســـمت ابتسامة ثقة: أنا مع الحـــق.. وجاية أعرف الحقيقة فـــين.. عاد إلى مكتبه وجلـــس على مقعده الكبير وقال: وهتكســـبي إيه؟.. بتضيعي وقـــت.. جاية تدوري عالحقيقة بعد ٨ سنين يعني يكون الأدلة نفسها اختفت.. دا المتهمين فيها كلها شهر وهيتنفذ عليهم حكم الإعدام، مسألة وقت يعني.. ثم أنا نســـيت تفاصيلها ومبقتش بسأل، ابتســـمت له في ســـخرية وقلت لـــه: لا، واضح أنك

مبقتش بتسأل.. أمال عرفت منين أن الحكم ممكن يتنفذ خلال شهر؟ أخذت فنجان قهوتي وارتشفت منه رشفة ثقة وقلت له: قلتلي بقة قبلت القضية ليه؟ اتكأ على المقعد الوثير أمامي واقترب بوجهه وهو يضحك وقال: يعجبني ذكاؤك وإنك مركزة.. طيب هجاوبك على كل حاجة بس الأول أعرف إيه اللي فكرك بقضية بقالها ٨ سنين يعني ماتت وشبعت موت.. حكيت له باختصار حلمي ورسالة شفيق، فحكى لي عن سبب قبوله للقضية، خصومة بينة وبين الضابط محرر القضية لأنه تعمد أن يكتب يتواطأ في قضية معه؛ فكانت النتيجة أن ألقي القبض على ابنه الحاصل على امتياز والأول على دفعته في كلية الحقوق، بعد أن دس له الهيروين ليضيع مستقبله، ويفاجأ أنه تحول من خريج مجتهد ينتظر خطاب التعيين كوكيل للنيابة، إلى تاجر مخدرات ينتظره حكم رادع، لم يتحمل ابنه كل ما جرى فأُصيب بجلطة دماغية، ورحل عن الحياة في هدوء وسط شماتة منه، لذا قرر أن يقف أمامه في قضية محمود شفيق الذي بعث له برسالة، مع شقيقته الوحيدة لأن نار (الأسيوطي) طالتهما هما الاثنين.

مسح أبو النيل دموعًا سقطت منه عنوة عنه، ووضح لي أن أوراق القضية كلها مغلقة، وأن كل المحاولات ستبوء بالفشل الذريع، ولاحاجة لي بالاصطدام بشخص مثل (رفعت الأسيوطي) الذي ترقى إلى رتبة المقدم وشارف على رتبة العقيد، أخبرته عن وردة وليلى ففوجئت به يعرف قصة اعتراف الابنة الصغرى للمجني عليها، ليحيرني ويفاجئني بأن كليهما لم تحضر للشهادة وأنه يشم رائحة الأسيوطي في القصة.

تركته ورحلت ليزداد فكري انشغالًا، الأوراق كلها باتت مختلطة، والوضع بات أصعب مما أتخيل، تنفست بصعوبة وقررت أن أهرب من كل ذلك بالمشي على الكورنيش الذي كان يطل عليه مكتب أبو النيل والحقيقة أن المحامي المخضرم أجاب عن الكثير من التساؤلات، التي كانت تحيرني وخاصة سبب الإيقاع بشفيق وشقيقه وصديقه، في تلك القضية فليس منطقيًا أن يكون السبب عقارًا.

علمت منه أن رفعت الأسيوطي وجدها فرصة للخلاص منهما، ليرضي طمع أحد أعضاء مجلس الشعب الذي أصبح وزيرًا فيما بعد، ليهدم عقار شفيق الذي بناه وجهز به شقة لنفسه ولشقيقه،

ليكمل مشروعه ببناء مجموعة أبراج كان من نصيب الأسيوطي بهما شـــقتان إحداهما سكن بها والأخرى أجرها لينتفـــع منها، الوضع قبل ثـــورة يناير كان منفلتا قليلا وكانت ســـطوة ذوي النفوذ والسلطة لا يمكن وقفهـــا خاصة إن اتفقوا.

استغل الأســـيوطي وقوع الجريمة في شقة شفيق، وألصق التهمة به وبشـــقيقه ولحظ صديقهما العثر، تواجد بالصدفة ليصبح المتهم الثالث، وكل ذنبه أنه مالك السيارة التي نقلوا بها جثة بديعة لإلقائها في الترعة.. ربما كان هذا ذنبهم الوحيد.

رغم أن يومي كان طويلًا وصعبًا لم أشأ العودة إلى البيـــت فقررت الذهاب إلى مكتبي، بأوراق القضية التي أعطاها لي لأحاول البحث عن باقي الإجابات والربط بينها.

ورقة وقلم وفنجان قهوة سادة مر مرارة ما أنا فيه، ففي يوم وليلة أصبح في رقبتي ثلاثة أبرياء ينتظرون حبل المشـــنقة، ووقت يســـابقني وتنفيـــذ قد يفاجئ الكل في أي وقت، بدأت في كتابة شـــخصيات القضية وعلاقتهم ببعضهم، جميع الخيوط كانت تتشابك لتصل إلى رفعت الأسيوطي ضابط المباحث، الذي حان

الوقـــت لأتعرف عليه عن قرب، ولو أن البدايات تعطي دلالات وانطباعات سيئة.

اتصلت بالرائـــد (علي الوكيـــل) أحد الضباط الذين أعرفهم من خلال العمل والذي نقلته الحركة من المباحث إلى شـــئون الضباط، وســـألته عن رفعت الأســـيوطي، امتعض عندما ذكرت له اسمه وقال في ضيق: تعرفيه منين؟!.. ده شر وسكته كلها وحشة.. اسمعي مني يا فريدة البعد عنه غنيمة.. ده شـــيطان ومحدش عارف يمســـك عليه حاجة.. وليه نفوذه!

علمت منه أنه يشغل منصب (رئيس مباحث المرج)، نظرت قي ســـاعتي وكانت تشـــير إلى العاشرة مساءً، وقت مناســـب فضباط البحث يعشـــقون العمل ليلًا، وأخيرًا حان وقت اللقاء المر، فضول لم أستطع التحكم فيه لأتعرف على من سأشـــتبك معه قريبًا.

ســـألت عنه على باب القســـم فدلوني إلى مكتبه، قابلني العسكري الخاص به قال لي: إنه سيعطية خبرا بعد أن أخرجت له كارت (شيرين عز الدين) صديقتي معدة البرامج بإحدى القنوات الشـــهيرة، أعترف أنني شـــعرت برهبة عندما وقعت عيني عليه، هناك شـــيء يشعرك بعدم الراحة في عينيه، ظل يتفرسني بطريقة

أربكتني، هو مثلما يقولون عنه يجيد معاملة الجنس الناعم، قال لي وهو يضع سيجارة في فمه: متعرفناش يا هانم.. ابتسمت وقلت له: شيرين عز الدين.. أنا معدة برامج وكنت جاية أعمل شوية بروموهات.. قاطعني: يا لهوي عنينا تؤمري بس هاخد لك إذن علاقات من المديرية، رقم تليفونك كام.. أشرت له إلى رقم الهاتف بالكارت فقال في ثقة وهو يسجله: تمام.. يبدو أنني أمام رجل يهيم عشقا بالنفوذ والمال، ولا يسيطر عليه أحد سوى النفوذ والمال أيضا، الكل يتحدثون عن كونه على علاقة وطيدة برجال الأعمال ذوي الثروة، أخرجني من شرودي صوته المبحوح بحة شريرة، وهو ينادي: تعالى شوف الهانم تشرب إيه، دخان سيجارته بات يزيد اختناقي من اللقاء الذي أحسست بسخافته، ولقلقي من أي سؤال يكشف انتحالي لصفة صديقتي فقلت له: معلش يا باشا لازم أمشي، لم أعطه فرصة ليوقفني فأشار لي أنه سيحدثني ليلا، رسمت ابتسامة بلهاء وأغلقت بابه خلفي، شعرت بأنني هاربة من الجحيم، هاتفت شيرين فور خروجي وطلبت منها أن تخبره بأن الرقم خطأ إن اتصل بها، وأن ترسل لي رسالة في أي وقت بأي مستجد.

يا ترى يا ليلى ليه مجتيش تشهدي.. الأسيوطي اللي منعك ويا ترى يعرف إنك عارفة.. ولا ســـبب تاني معرفهوش.. يا ترى إيه اللي مســـتنيني؟ سألت نفسي بصوت عال.. طوال الطريق سيطر على لساني جملة الريحاني الشهيرة: حاسس بمصيبة جيالي.. يا لطيف يا لطيف، فقررت الاستسلام لها لأضحك في هستيرية في نهاية يوم كئيب ومليءٍ بالألغار!

***

الحلقة السابعة..
عفريت الترعة

من هاتـــفِ جريدتي اتصلت بـــوردة، كان اتصالًا ســـريعًا لتحديد موعد للقاء ليلـــى.. المصيبة التي انتظرتها جاءت أقرب مما كنت أتوقع، فاجأتني وردة بمفاجأةٍ من العيار الثقيـــل، بعد أن رفضت تمامًا أن أقابل ليلى، وهدّدتني بشـــكل صريح، أنها ستكشـــف هويتي لرجال (النُصّ) لتضمن ألا أخطو خطوة واحدة داخل حارتهـــا، لم أفهم لم هذا الإصـــرار الذي ظهر فجأة، ليقطع الخيط الذي سأبدأ بتتبعه للوصول إلى الحقيقـــة، لم أبالِ من تهديدها فقد كنت على يقين من أنها لن تنفذه؛ فشخصيتها (الجَدَعة) ليست شريرة إلى هذا الحد لذا طرقت باب شـــقتها، ابتســـمت لها

عندمـــا فتحت إلا أنها أغلقته في وجهي، طرقت بابها مرة أخرى.. لم تقتـــح ولم ترد، لا أعلم كيف لامرأة بصفاتها وألمها مما حدث لوالدتها، تقبل بكل ســـهولة أن تحـــرم أبًا من طفليه وأن يكـــون ضميرها مرتاحا لشنق بريئين، طرقت مرة ثالثة ورفعت صوتي لتسمعه: اسمعي يا وردة.. احنا مبنلعبش ولا جاية آخد رأيك انتي هتساعديني ولا لا.. دي ناس هتموت في أقل من شهر ومتعلقة في قشاية.. انتي بتعملي كده ليه؟...

امبارح مكنتيش كده. فتحت بابها في عنف: انتي عـــاوزة ايه؟.. حرام عليكي.. ســـيبينا في حالنا.. ده ماضي ومات. صرخت فيها: لا ما متش.. الماضي لسّه حـــي وهيعدموه، ولو أعدموه، العتاب في عنين اختك هيفضل عايش. أغلقت بابها في وجهي بعنف، كظمتُ غيظي والتفت لأنزل السلم.. وجدتها أمامي تنظر لي بعينيها البريئتين.. ليلى كانت تتلعثم في الحروف؛ فالحادث جعلها بعد رحلة عـــلاج مع الصمت تنطق بالـــكاد.. قالت لي: انتي مين وعـــاوزة ايه؟.. ماضي إيه اللي بتكلمي عليه؟.. اقتربت منها مادة يدي: أنا فريدة علم الدين وبشـــتغل صحفية.. أنا آسفة على صوتـــي العالي بس اختك خرجتني عن شـــعوري..

أنا ممكـــن أتكلم معاكـــي شـــوية؟.. لم تمد يدها لمصافحتي، احتضنت كتبها ولملمت قُصتها التي نزلت تغطي نصف وجهها، ودخلت إلى الشقة وأغلقت الباب بلطف، وهي تنظر لي نظرة غريبة بعين شـــبهِ دامعة.

خرجت من الحارة الشـــعبية، وكل شيء يخنقني؛ فأول الخيوط بات كخيط العنكبوت انقطع بسهولة، عـــدت خاوية الوفاض أملم أذيـــال الخيبة إلى مكتبي، أمسكت بملف قضية الســـجين ٦٧٨ مرة أخرى، لعلي أجد طرف خيـــط آخر بين الســـطور، لم يعد أمامي مجال من أن أزور مسرح الجريمة، العقار الذي تحول إلى مشروع تجاري، الطريق الذي سلكه الجناة بحسب محضر الأســـيوطي، حتى وصلـــوا إلى الترعة وألقوا بالجثة.. اتصلـــت بـــ(عبد الوهـــاب صميدة) فمن غيره ســـيطاوعني لنغامر بعد منتصـــف الليل.. من غيره ســـيؤمن بفكرة تحقيقي الإنساني في ظل روتين ممـــل؟ لم يفكر كثيرا وقرر الحضـــور لمكتبي قبل أن نذهب إلى وجهتنا بســـاعة ليفهم ما يحدث.. أما أنا فجلست كالتلميذ النجيب أستذكر أوراق القضية، أبحـــث فيها عن طراف خيوط أخـــرى بدلا من ليلي، وشـــقيقتها اللاتي قطعن كل السبل.

أخرجت عدة نقاط في أجندتي الخاصة الصغيرة، خاصة بفصول قضيتي، للتركيز عليها عندما أذهب، أقل من ساعة وحضر صميدة، شرحت له القليل من التفاصيل التي فهم منها الكثير فعملنا سويا رغم اختلاف مؤسساتنا الصحفية جعلنا نفهم الكثير حتى وإن اختصرنا الجمل.. أخذته الحماسة وقال: يلا يا فريدة الساعة بقت ١٢ اهه جاوبته بسخرية: بلاش الحماس الزايد ده.. محسسني اننا رايحين نتفسح.. أنا عاوزة أوصل هناك في نفس ميعاد الجريمة بالظبط.

مسرح الجريمة الأساسي ماتت أدلته، فالعقار لم يعد له وجود بعد أن صعدت بدلا منه أبراجٌ شامخة، انطلقنا نحو ترعة العفاريت حيث ألقى الثلاثة بحسب المحضر الجثة.. أصابتنا قشعريرة ونحن نمضي في طريق مظلم إلا ما رحمت أنوار بعض الأعمدة المتهالكة.. علق عبد الوهاب: ده إيه الطريق ده.. قلت له في سماجة: ترعة العفاريت أشهر ترعة بيترمي فيها جثث في مصر، هيكون طريقها إيه يعني.. مفروش ورد! وصلنا إلى المكان تحديدا بعد الكيلو ٢٠ خلف كوبري الريحاني بمسافة قصيرة، كل شيء كان يوحي بالخوف والصمت الذي يجبرك على الهمس، كأن

الحادث وقع بالأمس القريب.. هنا ألقى بها الثلاثة فيما لاذ شطة بالفرار من مسرح جريمته، مدعيا عدم تحكمه في ذعره، عدنا إلى أكثر من ٨ سنوات نحاول رسم سيناريو لما حدث، على ضفة الترعة توقفت سيارة (حسن ربيع) ونزل شفيق وشقيقه (علي) ليحملا الجثة ويلقيان بها، الجو العام يساعدهما على ذلك، مسرح الجريمة بات يدينهم ولا ينصفهم، قررنا الرحيل..

آه ياعيني.. صرخ عبد الوهاب ليزداد فزعي.. نحن نتعرض لهجوم بالحجارة من الظلام الدامس، عبد الوهاب الذي أصيب بطوبة في عينه أمسك بيدي لينقذني من السواد الذي لا نرى فيه أيدينا، صرخت: فيه إيه ده هو في ايه؟! قال لي في عصبية مضحكة: يا دي المصيبة.. جايبانا طريق مهجور والجو برد ومفيش نور واقولك: أي دي يا فريدة تقوليلي: ترعة العفاريت.. هيكون إيه يا فالحة أكيد ده عفريت اتدايق من وجودنا.

التفت لأحاول رؤية من يهاجمنا مع ظهور بصيص ضوء.. ابتلعت ريقي بصعوبة.. فما رأيته لا يتوقعه أحد!

***

الحلقة الثامنة..
قنديل هنية

قنديـــل قديم خرجـــت تحمله من قلـــب الظلام، حاولـــت إيقاف عبد الوهاب الذي بدا مذعورًا تزعجه إصابته لينظر خلفه.. صرخ في فزع: يا نهار اســـود.. يا نهار اســـود.. عفريت عفريت، أجبرته على الوقوف وقلت له في سخرية ونبرة حادة: عفريت إيه ما عفريت إلا بني آدم.. أمال فين رجل المغامرات الصحفية وبتاع؟ ابتلع ريقه وحاول يستوعب ما يراه مع اقتراب حاملة الضوء، فمن كان يرمينا بالطوب عجوز في السبعين من عمرها لا تقوى أصلًا على الجري خلفنا، غير أن لسانها كان ســـليطًا.. ظلت تسبنا فافترقنا لنبتعد عن مرمى طوبها ونشتتها..

كانت تصـــرخ: ابعدوا من هنا يـــا ولاد ال.. أنا مش ناقصـــة مصايب.. حاولنـــا تهدئتها إلا أنها لم تســـتجب.. نجحت في الاقتراب منها فكشـــرت عن أنيابها وأمســـكت بطرف ياقتي لتضربني، اقترب عبد الوهاب ســـريعا ليمســـك يدها محـــاولًا تهدئتها، والحقيقة أن سحرًا حدث عندما قربت قنديلها لترى ملامح وجهه، وضعت يدها على رأسها وكأنها تشعر بالدوار فجلست على الأرض، قال لي وهو ينظر لها في تعجب موجها كلامه لي: يلا يا ماما دي مجنونة.. الصراحـــة احنا جوز مجانين وهي مش ناقصة معاناة فعلا.. أشـــفقت عليها وهي تركز بصرها عليه وتمد يدها وهو يبتعد عدة خطوات.. قالت له: خد يا ولا.. قومني.. نظرت له ألومه على قســـوته وعجرفته مع امرأة عجوز، فعاد أدراجه ليســـاعدها على النهوض، قرصته من أذنـــه، وقالت: مش عيب يا ولا تقول على واحدة اد أمك مجنونة! شـــعر بـــالألم فتمتم: يا دي الليلة اللي مش فايتة.

وقال: طب أنا آســـف يا حاجة. ربّتت على خده في حنان: ربنا يحميك لشبابك يا ابني.. صحيح يخلق من الشبة أربعين.. ظلت ممسكة قنديلها تتأمل وجهه

قبل أن تظهر خيالات دموع في عينيها لتهرب بالعودة، إلى قلب الظلام، أشرت له بأن يستمر بالحديث معها، كنت أريد أن أعرف ســـر وجود عجوز مثلها في مكان كهذا وهل هي هنا منذ مدة طويلة، قال لها: وأنا شبه مين يا حجه؟.. توقفت لتعيد نظرها إليه، وقالت في سخرية: فيك شبه من المرحوم ابني.. بس هو مكنش زيك كده... ضحكت عنوة عني فأســـكتتني نظران غيظـــة فقال لها مســـتنكرا: وانا ما لـــي يا حجة.. ماشي على ايدي ولا إيه؟ توقفت واقتربت منه وقالت بعصبية: لا لمض يا ولا وعـــاوز تتربي.. إيش جابك انت لسيدك عز الرجال؟!

لم يعلق عبـــد الوهاب لوهلة وركـــز بصره على عشـــتها الصغـــيرة المتوارية عن الأنظـــار والتي بدأت تظهر، نظرنـــا إلى بعضنا والتفتنـــا ننظر إلى ضفة الترعة التي كانت ظاهرة بوضوح عجيب، فكل أضواء طريقها الغير ممهد كانت تكسبها إنارة جيدة إلى نوع ما.. العجوز تســـتطيع أن ترى من موقعها ولا يراها أحد، كصحفي مخضرم يســـتدرج معلومة قرر عبد الوهاب من نفســـه أن يتجاذب معها أطراف الحديث فعاد يرد عليها في مرح: مـــا انا متربي بردة بس انتي

مش مدياني فرصة اوريكي الأخلاق يا أمي.. ابتسمت واقتربت منه وكأنها تحفظ وجه ابنها فيه، وتنهدت من قلبهـــا قالت له: يااااه.. حلـــوة منك أمي دي.. تشـــرب شاي؟ فأومأ برأســـه إيجابًا فعلقت نفسها في يده ومضت ممسكة بقنديلها وفيما يبدو أنها كانت ناســـية وجودي، فتذكرتني فجأة لتعود إلى عصبيتها موجهـــة كلامها له: مين دي يـــا واد.. مين دي؟.. ياد بلاش ترمرم.. ضحك عبـــد الوهاب في شماتة، وكأنها يردهـــا لي، فيما أصابتني كلمتها بالصدمة وحاولت أن أوضح لها فأشارت لي بالصمت وقالت في حدة: واحدة وابنها بتتحشـــري ليه يا بت.. منتيش ســـامعاه بيقولي ياما.. سامعة ولا لا؟

هدأها عبد الوهاب وقال لها: إنني زميلته في العمل فيما ظلت هي تنقرني بعينها، وهي تجهز الشـــاي.. أما هو فاقترب مني ســـاخرا: أنا مش عارف من غيري كنتي هتعملي ايه!

سألناها إن كانت تسكن هنا من وقت قريب، رغم أن أثاث وبوص وخشـــب عشـــتها البالي، لا يدل على ذلك فقالت إنها تعيـــش في المكان منذ ٢٥ عاما منذ وفاة ولدها (عز الرجال) الذي كان شـــهمًا وبارًا بها،

والذي مات جـــراء حادثة عندما حـــاول الدفاع عن مصنع يقف عليه كحارس من لصوص اســـتهدفوه، فزهدت الحياة، ودأبت العيش بمفردها بعد أن اختفت زوجة عز الرجـــال بطفليه بعـــد زواجها من صديق عمره، رجـــل الأعمال صاحب المصنع.

ربّتت على كتف عبد الوهاب، وهي تعطية كوب الشـــاي: العمـــر الطويل ليك يا ابني. ســـألناها إن كانت تحيـــا بأمان هنا.. فضحكـــت وقالت: الأمان راح من أيام عز الرجال ما راح.. بس ادیني عايشـــة.. مين هيئذيني؟.. الحرامي هيطمع في إيه يا حسرة.. ابتسم زميلي المحنك وسألها حول جرائم القتل التي تتم في المنطقـــة، فخبطت بيدها على صدرها وقالت: يـــا أخويا كل قتالين قتلة مصر بييجو يرمو جثثهم في الترعة دي.. الترعة عفنت.. اتملت أرواح.. والنبي بالليل بسمع صوت ناس بتعيط.

امتقع وجه عبد الوهاب الذي يخاف الظلام أصلا وتلفت حولـــه، فضحكت وأضافت: اخشـــن يا واد يا حليوة انت.. ما عفريت إلا بني آدم.. ســـألتها بشكل مباشر إن كانت عاصرت استخراج أي جثة، فأجابت بالنفي، فكل الحوادث كانت تقـــع في أماكن نائية

على ضفة الترعة أبعد من هنا غير أنها سكتت قليلا وقالت: ربنا ما يعيدها ليلة.

وضع عبد الوهاب كوبه وسألها عن أي ليلة تقصد.. فخرجت من شرودها بسرعة وقالت: عندي شوية جبنة قديمة وخيار تلاقيكو جعانين، التفتت إلينا وأكملت: إلا انتو صحيح إيه اللي حدفكو النواحي دي؟..

انتهزتها فرصة وباغتها بسؤالي: هو انتي ياحاجة كنتي بتحدفينا بالطوب ليه.. لما انتي مش خايفة حاجة عندك تتسرق.. وايه اللي مصحيكي بالليل مولعة القنديل وقاعدة كأنك بتحرسي المكان و...؟ قاطعتني بعصبية وقالت: بس يا بت بطلي لماضة. ونظرت لعبد الوهاب: كتك خيبة عجبك فيها ايه؟..

دي معصعصة وبلسانين. قبل أن يرد عليها اقتربت منه وقالت: بتحب فيها ايه؟..شاور كده واجوزك ست ستها.

قطبت جبيبني واقتربت منها وقلت لها غاضبة: بقولك يا حاجة بلاش والنبي الخيال الواسع ده..

أنا والأستاذ عبد الوهاب أصحاب واخوات نحلف لك على مصحف؟.. اقتربت منه ممثلة البكاء: شايف يا ابني.. برضيك واحدة اد أمك يتزعق لها كده؟.. ضحك عبد الوهاب فيما ظللت مقطبة جبيني وأنا أنظر إليه، فقال: الســـت معاها حق يا فريدة.. بنوتة زيك وشـــاب روش زيي ونازلين حتة مقطوعة بعربية في نص الليل.. انتي اتشـــبهتي خـــلاص.. اتجوزيني واســـتري عليه.. زاد ضحكه فيما استشـــطت غضبا؛ شـــعرت بأنها ضايقتني فعلا فاقتربت مني وربتت على كتفي موجهة كلامها له في عصبية: الضحك من غير سبب قلة أدب.. بس يا واد.

امتثـــل عبد الوهاب لكلامهـــا فقالت في جديهة: انتو وراكو ايه.. إيه اللي جابكو الناحية دي؟.. قال لها عبد الوهاب أننا صحفيـــان مجنونان نبحث عن حقيقة غائبة وبراهين لبراءة شـــخص يدعي شفيق، يقولون: إنه ألقى بجثة ضحية من هنا هو وشـــقيقه، احتل الهلع ملامحها فجأة، وكأن شيئا أربكها وقالت في عنف: امشوا اطلعوا برة.. شعرت أنها تعرف شيئا، تخبئ سرا ما مرتبطا بقصتي بشفيق وعلى وحسن.. لم أعرف إن كان ذكاء أم تعاطفا إلا أن عبد الوهاب

قبل جبينها في حنـــان بالغ، وطلب مني أن نرحل دون أن نزعجهـــا، أيـــا كانت نوايا ما فعلـــه إلا أنها أتت بثمـــار جيدة، بكت العجوزة الغامضة وأمســـكت بيده طالبة منه أن يحافظ على نفســـه وقالت له: وعليك من الشـــغل الخطر ده بإيه يا ابني؟ فقال لها في تأثر: الحقيقة يا أمي.

مضينا عدة خطوات وأنا أنظر له في عجب لأنه لم يلح عليها ليفهم أي شـــيء فقال لي: متقلقيش عدي لحد عشرة هتنادينا، تعجبت من ثقتة إلا أننا بالفعل لم نمض لأكثر من خمس خطوات ونادت علينا.

جلسنا بجوارها لتبدأ في سرد حكايتها التي تكشف جزءا من اللغز، قالت بملامح حزينة: كانت الساعة واحـــدة ونص بعد نص الليـــل، كنت راجعة من فرح بنت واحد من ســـكان الترعة اللي في الأول.. لسّـــه هطفي القنديل عشان احط دماغي عالمخدة، سمعت صوت فرملة جامدة فخرجت اشـــوف في إيه.. طفيت القنديـــل لما لقيت نـــور فوانيس عربيته منور شـــط الترعة.

اســـتغربت جاي يعمـــل إيه هنـــا ده.. هي دقيقة صحيح بس شفت فيها ملامح جسمه كويس.. وهو

فتح شـــنطة عربيته ورمى شوال.. وضعت يدها على صدرها وأكملـــت: انقبض قلبي، انا عارفة أن قتالين القتلـــة بييجوا يرمـــو الجثث هنـــا، وطبعا منمتش ليلتها مـــن الرعب واللي حســـبته لقيتـــه، والنيابة والبوليس كله جه هنا، كنت أول مرة اشـــوف رفعت الأســـيوطي الضابط ده مش ممكن انساه، ولا أتمنى أقابلـــه، تاني.. يومها طبطب عليـــه وقال لي: طبعا ياما انتي كنتي نايمة ومشـــفتيش حاجه، ومشى من غـــير ما يديني فرصة أتكلم ولأنـــي مبعرفش اقرا ولا أكتب، بقيت ادي محمود ابن بتاع الفول جنيه، يقرا لـــي كل حاجة عن الحادثـــة دي، وقتها عرفت انهم مســـكو اربعة، ومنهم ٣ بينكـــروا التهمة ووقتها برده، اتاكـــدت أن واحدا منهم بس هو اللي عملها، بعد ما طابقت ملامح جسمه، أخرجت لها مقصوصة جرائد قديمة بها صورة الأربعة، وقلت لها: أي واحد؟ فقالت في تأكيد: هـــو القصير الاكـــرت ده، أصل التلاتة التانيين طوال.. قال لهـــا محمود: وبعدين يا حاجة إيه اللي حصل؟

فعـــاودت تحكي باقـــي قصتها أو بمعنـــى أصح، شهادتها رحت القسم، أدورع الملاك اللي قابلني عشان

أقول له أن العيال دي مظلومة فعلا، ومرمتش حاجة بس بعيـــد عنكو أنا يا دوبك قلت لـــه، قام من على مكتبه، وورّاني العين الحمرا وقال لي: كلمتين عمري ما هنساهم، اسمعي يا وليه.. التخاريف دي متطلعش من بقك.. وتروحي تموتي في القرافة اللي ساكنة فيها، هطلع لك قرار إزالة وأولع لك، في العشة اللي متاوياكـــي والا صحيح، عيال ابنك عاملين إيه؟

وامشـــي جنب الحيط أحســـن.. ابتســـمت وهي تســـتحضر ما حدث بعدها وقالت: قبل ما يطردني، دخل عليه ظابط هيبة وقيمة اسمه (نادر عبد الحي) عمري ما هنســـاه بردة أخد لي حقـــي منه، وزعق له وقال: دي ســـت كبيرة يـــا (رفعت) وللمـــرة المليون بقولك: احترم الناس لهشـــتكيك.. أنا مش فاهم انت الظابط الوحيد في القســـم ده اللي مبتحترمش حد.. إنـــت واللي زيك من عدماء المســـئولية، اللي بتخلوا الناس متحبناش. وقام بايس دماغي وسألني: طلباتـــك إيه يا أمي؟ قلت له: مفيش.. ســـألتها في خنق ما قولتلوش ليه يـــا حاجة بدل طلع كويس؟ قالت في عصبية: إنتي لو كنتي مكاني، كنتي هتكتمي اللي حصل، وقتها كنـــت خايفة من كلامه.

أشـــار لي عبد الوهاب بالهـــدوء، وطلب منها أن تكمـــل قصتها فقالت: تابعـــت القضية لحد ما أخد التلاتة إعدام، والسفروت ده مؤبد ومعرفش إذا كانوا اتورطـــوا في قتلها ولا لا، بـــس اللي متأكدة منه إن كلام الجرايـــد أن الأربعة، كان مش صح.

نظـــرت لها في حـــذر وقلت: طبعا يـــا حاجة انتي هتشهدي بده.. تحولت ملامحها وقالت: ابعدي عني يا بنتي انا عـــاوزة أفضل جنب الحيطة.

طوال طريـــق العودة بعد أن انتهـــى اللقاء بوعد مـــن عبد الوهاب للعجوز، بتكـــرار الزيارة لا أعلم إن كان سيفي به أم لا، ظل كلينا كان لديه ما يكفي، من تصورات وأفـــكار أجبرتنا علـــى الصمت، كلانا كان يشـــعر بالضيق ذاته، الحقيقـــة أن كل منا في قرارة نفســـه كان يتمنى ألا يتأكد لديه شـــعور أن هناك من سيشـــنقون ظلما، كل منا كان يتمنى أن تكون كل خطوة نمضيهـــا في اتجاة ذلك التحقيق الإنســـاني مكللة بالفشـــل، تؤيد لنا فكرة أن صاحب الرسالة كاذب ومهلوس، إلا أن خطواتنا كانت تدب بثبات في اتجاه آخر، اتجاه إثباته ســـيحتاج إلى المضي في طرق وعرة، فخصومنا لم يكونوا أشخاصا يسيرين

بالمرة، نظرت إلى الهاتف نحو الخانة التي تسجل تاريخ اليوم، لماذا تجري الساعات هكذا؟ مضى ستة أيام من أصل الثلاثين يومـــا، ولم نصل إلى دلائل قوية نوقف بها إجراءات الحكم.. أغلقت الهاتف وأسبلت جفوني، ربما هربا من عجز أشـــعر به، كل الشهود يعرفون أن ساكني غرف الإعدام الثلاثة أبرياء، وكلهم خائفون من الحديث خـــارج إطار الفضفضة، وصلت إلى بيتي، لم ألحـــظ والدي الذي كان يقف غاضبا، في شـــرفة شـــقتنا ينتظرني، لم أشعر بأن الســـاعة اقتربت من الثالثة، وكأن الكون كله وقف عند تلك اللحظات منذ ٨ سنوات.. فتحت الباب وجررت قدمي إلى غرفتي، أفاقني من شرودي صوته الذي بدا غاضبا: كنتي فين يا فريدة.

انتي اتهبلتي.. عارفة الســـاعة كام؟.. الصحافة دي لحســـت دماغك قلنا: واخداكـــي من حياتك الشخصية وماشـــي، لكن كده كتير.. الحقيقة إن والدي انتظر كعادتـــه أن أجادله، إلا أنني نظرت إلى أمي التي كانت واقفة إلى جواره تهدئه، وإلى شقيقي الأصغر الذي اســـتيقظ من نومه، على صوت الصياح ودخلت إلى غرفتي منكســـة رأسي، نفسي كانت تقاوم

يأســـا رهيبا، ارتميت على ســـريري، جنتي التي قلبها تفكيري إلى الســـعير فهرب منها النوم، دخل شقيقي وجلس بجـــواري مازحا: اهـــه يا برنـــس، ولا جيت جنبك.. مجبتكيش من شعرك مثلا.. مقولتلكيش كنـــتي فين لنـــص الليل.. بصي شـــاب روش كول يعني.. اعتدلت في جلســـتي تصـــدق إنك واد هايف وعديم المســـئولية.. انت نمت وانـــا مرجعتش لنص الليل بدل ما تنزل تدور عليه.. ضحك وقال: يا بنتي انتي اختي.. عشـــرة بتاع ٢٥ سنة.. انتي أول ما قولتي لابوكي مغامرة بسيطة كده ومش هتأخر في المكالمة الأولانية، وقفلتي التليفـــون بعدها وانا قلت لهم: أنا داخل أنام.. بنتك مجنونـــة وهتروح ترعة العفاريت هـــتروح.. اسمعي أبوكي اتخنق منـــك ده بدل ما تجيبي له حفيـــد يتلهي فيه وهو قرب يطلع معاش.. عملالي المفتش كرومبو.

كنا سنبدأ وصلة مزاح تخرجني مما أنا فيه، لولا دخول والدتي وإشـــارتها لشقيقي بالانسحاب.. كان انســـحابا لا يخلو من لماضته.. جلست بجواري قالت بصوتها الحنون: اتعشـــيتي؟.. اومأت برأســـي نافية بحجة أن مليش نفس.. قالت لي أن والدي أرســـلها

للاطمئنـــان على وأنـــه قلق بقدر غضبـــه، فحاولت طمأنتهـــا ومثلت عليها أنني غرقت في ســـبات عميق، بعد أن عـــادت وفي يدها كوب لـــبن دافئ.. أغلقت والدتـــي الباب فأخرجـــتُ أوراق قضيتي، وبت أفكر في طريقة تدفع الجميع للشـــهادة.. على كل منهم أن يقوم بدوره!

صباح جديـــد لا يختلف عن ســـابقه، فالمعطيات كلها تســـاوي صفـــرا، أنا محتاجـــة معجزة حدثت نفســـي بصوت عال وأنا أتحرك من أمام المرآة، طوال طريقـــي إلى مكتبي وأنا أفكر في طريقة للضغط على عجوز الترعة.. إلا أنـــني كنت على موعد مع تلك المعجزة التي تمنيتها وكأن الســـماء استجابت!

***

الحلقة التاسعة..

المعجزة

تناولت فنجان قهوتي، لم أكن أعلم لمَ طلبتُه سكر زيادة هذه المرة، ربما هربا من مرارة اليأس أو لأنني أردت أن أتذوق طعمًا حلوًا، بعد أن باتت حياتي كلها سادة منذ أن وضع نزيل غرفة الإعدام كل شيء في رقبتي، الكثيرون يعتقدون خطـــأ أن الصحافيين يركضون وراء الحدث فقـــط، كأنهم تحولوا إلى آلة كاتبة لا تشـــعر ولا تتعاطف، المهم في النهاية المانشيت.. سكر قهوتي كان بشـــارة اليوم.. رن جرس تليفون مكتبي، الأمن يخبرني أن هناك فتاة تريد مقابلتي، والحقيقة أن آخـــر من كنت أتوقع حضورها كانت تقف ماثلة أمامي، ليلى بشحمها ولحمها!

جلســـت أمامي وأنا أنجز بعض التليفونات التي لم تكن مهمة، إلا أنني قـــررت القيام بها لأعطيها فرصة لتهدأ ويذهب اضطرابها.

* قبل اللقاء بساعات*

تلعثمـــتْ في بعـــض الحروف، وهي تســـألها عن الســـبب الـــذي جعلها تخبـــئ عليها أنـــني صحفية قدمت لرؤيتها.. هي استشـــاطت غضبًا وطلبت منها الصمت، وعدم التدخل وترك أبـــواب الماضي مغلقة، قالت لها في حســـم: بطلي تلغي شـــخصيتي يا وردة، وتمشينا بدماغك... نشوفية دماغك كانت السبب أن أمنا تمـــوت مقتولة.. أطاحت بكوب الشـــاي من أمامها وصرخت: إيه يا شـــيخة.. ارحميني.. ٨ سنين مشـــفتش الراحة.. كل يوم تأنبيني وتفكريني.. إن مكنش بالكلام يبقي بنظراتـــك ليه.. اسمعي انتي تعتبريها مجتـــش خالص.. اللي هيتعدموا دول مش مـــن بقيت أهلنا ولا نعرفهـــم.. وده قدرهم.. نظرت لهـــا في اشمئزاز: لا ده مش قدرهـــم.. دي مش ناس ندلة زي حبيب القلب اللي ضحك عليكي وورطهم.. لم تشـــعر ليلى أنها داســـت على جرح لـــوردة ما زال ينزف بداخلها، فلم تتمالك نفســـها إلا وهي تصفع

شقيقتها الصغرى، على وجهها.. فتوترها لم يجعلها تتحمل هذه المرة، شعرت بما فعلته بعد أن رأت في عيني ليلى دموع غضب، فأخذتها في حضنها: كفايانا اللي حصـــل.. كفاية أمنا.. مش عاوزة حاجة تئذيكي.. انتشلت نفســـها من بين أحضانها في عنف وصرخت فيها: مش عاوزة حاجة تئذيـــني بردة، ولا مش عاوزة فضيحتك اللي ادارت ٨ سنين تبان... ولا اقولك انا بكلم معاكي ليه أصلا.. ما اللي قتل مرة عادي يقتل ألف لازم ضميره يموت.. تركت شقيقتها ودخلت إلى حجرتها غاضبة أما وردة فانهارت وتمتمت في يأس: يا رب انـــا لامتى هفضل ادفع التمن؟!

يـــوم عمل جديـــد، وضعت على مكتبـــه الموضوع، كان عنوانه: ٦٧٨ أنقذوني من حبل المشنقة.. قرأ ما كتبته، ونظر لي بعد أن خلع نضارته: انتي عاوزة الهبل ده يتنشـــر.. يعني إيه واحد مظلوم وبعت لنا والهري ده كله.. فاكـــرة ده هيجيب نتيجة؟.. رددت عليه: دي صفحتي وانا حرة فيها يا ريس.. انت ريس القسم ودي حكاية ســـجين لصفحة حكاية سجين.. أنا حرة أختار الحكاية اللي تعجبني.. ابتسم وقال: انتي حرة.. هي الناس هتضحك عليه أنـــا.. ولا ريس التحرير

هيوضبني أنا؟.. تجاهلت طريقتة تمامًا وذهبت لمكتبي.

* داخل مكتبي*

وضعت كوب العصير أمامها وأنا أتتأملها، ارتشفت من كوبها القليل وقالت بصوت رقيق: أنا جاية عشان احكيلك الحكاية اللي حكتها لك وردة بالتفصيل... أنا مش عاوزة حد يتيتم زي ما اتيتمت انا.. مش عاوزة حد يتظلم كفاية احنا اتظلمنا.

وضعت فنجان القهوة الذي كنت أحتسيه، وسألتها: اتظلمتوا ازاي.. هو مش اللي قتل أمك فعلا شطة؟.. ابتسمت في مرارة: أديكي قولتيها: اللي قتل أمي.. مش سرقها بس.. يعني اللي قتل لازم يتقتل مش ياخد ١٥ سنة عشان يدبس ثلاثة معاه ملهمش ذنب.. امتعضت وأضافت: شطة ده شيطان.. لازم يتعدم ألف مرة مش مرة واحدة.. سألتها في عفوية: هي وردة عارفة إنك هنا؟.. ردت بسرعة: لا لا واوعي تقوليلها.. احنا اتخانقنا من شوية بسببك.. قولتلها: نازلة اشم شوية هوا وجيت على هنا.

بادلتها الابتسام وبعض الأحاديث اللطيفة، حول ارتباط اختيارها لدراسة المحاماة بحياتها حتى تحدث

بيننـــا ألفة، وتنشـــأ بيننا بدايات ثقـــة أحتاج إليها، باغتها: هـــي وردة خايفة من الأســـيوطي أوي كده ليه؟..على فكرة الـــوزارة أغلبيتهم ناس محترمة، لو عرفوا انهم بيســـتغل سلطته هيحاسبوه.. هو هددها بحاجة؟.. ضحكت في سخرية: وردة مبتخافش إلا من اللي خلقها، ومن ســـر قديم خايفة الماضي يفتحه.. الحقيقـــة احنا الاتنين مســـتنيين خروج شـــطة من الســـجن عشـــان ناخد تارنا منه مرتين.. مرة عشان أمي ومرة عشـــانها هي.. لم أفهـــم ما قالته غير أنها ارتبكت، شعرت في ملامحها بالضيق وكأنها أفصحت عن شيء لم تكن ترغب في قوله، تركت لي رقم هاتفها ورحلت عندما حاولت أن أستفســـر أكثر!

الحقيقة أن وجود شـــاهدة كليلـــى، في القضية ســـيقلب الموازين رأسا على عقب خاصة إن باحت بكل أسرارها، قبل أن ترحل قلت لها: ليلى انا هكتب إنك كبنت المجـــني عليها بتبرئيهـــم.. التفتت: امال انا جايـــة ليه؟.. يمكن انتي أمل ليهـــم وطوق نجاة لينا ينقذنـــا من عذاب الضمير.. فرصـــة ربنا بيديها لنا عشـــان نكفر بيها عن ٨ سنين.

سحبت موضوعي من المطبعة وأضفت إليه الفقرة الأهم، ليتغير المانشـــيت: ابنة المجني عليها وشـــاهد العيان الوحيد، تبرئ قاتلي والدتها وتطالب بقصاص عادل من الجاني.. أخيرا شـــعرت بنـــوع من الراحة، كل ما كان يدور برأســـي: ماذا ستكون ردود الأفعال في صباح غد؟!

***

أحـداث القصـة ليسـت كلهـا حقيقيـة، فالخيـال يكمـل الواقـع ليصبح أكثـر روعـة ومنطقيـة.. أحـداث القصـة الحقيقيـة وأشـخاصها ليسـوا فـي الأماكـن المذكـورة بهـا، القصة مسـتوحاة مـن أحـداث حقيقيـة.

تكتبها / مي ياقوت

اتســـعت ابتسامتي مع وجود تعليقات كثيرة، على لينك الموضوع على موقعنـــا على الانترنت، سمعت صوتـــه وهو يمازح عـــم إبراهيم الســـاعي، طرق باب المكتب وألقى بنسختة أمام مقعده وقال: يللا نفعتكو واشتريت الجورنال..

- وما لك فرحانة كده ليه؟

- إنتي دخلتي عـــش الدبابير وصحيتي ماضي ناس كتير كانت عاوزاه يموت.

نظرت إليـــه في حنق: إيه يا عبد الوهاب انت جاي تشجعني ولاتخوفني؟

قال بجديـــة: ولا كده ولا كـــده.. أنا بقولك الحقيقة عشـــان تبقـــي فاهمة اللي جـــاي تقيل يا فريدة.. عندكو قهوة؟.. كلماته جعلت قشـــعريرة خوف تسري في جسدي، أخرجت زفرة حارة طردت بها هواجسي.

إنتي متخيلة إيه يعني.. هتجيبي الديب من ديله.. قالتها وهي تضحك ضحكة سخرية مستفزة تعليقا على مانشـــرته. أعترف أنه كان خيالًا قد يصل إلى حد الشـــطط، أن أثبت أن هناك بريئًا ظلمته ظروفة

وأوراق القضية، لتصل به إلى حبل المشنقة دون رأفة إلا أنني لم يكن ينقصني سوي (نبيلة الأسيوطي) لتعلق. رددت عليها: سـيبيني أخرف.. ووريني انتي الشطارة.. إلا قوليلـي صح.. بما أنك كاتبة مقالك النهارده عن كلام فاضي اسمه: كل واحد بياخد صفاته من اسمه اللي بيتولد بيه.. يعني انتي سموكي نبيلة ليه ولا ازاي؟...

قطبت جبينها وجزت على أسنانها، وخرجت غاضبة أما أنا فظللت أنتظر ردود الأفعال فأحيانًا يثير الهدوء القلـق، غير أن اعتقادي كان خطـأ فالنار الكامنة تحت الرماد بدأت جذوتها في الاشـتعال من جديد.

في قطاع الإعلام والعلاقات بوزارة الداخلية، وضع أحد الضباط أمام (العقيد محسـن الزهيري) نسخة من العدد لافتًا في ملحوظة صغيرة، أن ما نشرته بدأ يتفاعـل معه رواد مواقع التواصـل، ووصلوا للآلاف خلال سـاعتين، نظر إلى اسمي وابتسـم معلقًا: هي صحفية شـاطرة وبتفاجئنا، بس المـرة دي المفاجأة غريبة.. هي (علم الدين) متخيلة توصل لبراءة فعلًا، عموما خلينا نعمل اللي علينا ونحقق في اللي كتباه.

***

وضعتْ شالا على كتفيها وخرجت سريعة مستجيبة للطرق العنيف على بابها.. فتحت لتجدة أمامها، (شيبة الأقرع)، أخيرًا تلاقت عيناه بها بشكل مباشر، شرد قليلًا، هل تعلم أنه يحبها وأن ليلة خطبتها على شطة شعر أن يوم عقد قرانها ستكتب شهادة وفاته، ورغم أنه يدخن البانجو والحشيش إلا أنه لم يتعاطَ شيئًا، فحزنه كان يسطله بالقدر الكافي.. كان يراها كبيرة مقام لن تنظر لجرذ مثله، إلا أن الحب الأعمى جعلها تقع في غرام حشرة لايستحقها، لم يزر (السيدة زينيب) أو يصلي في (الحسين) إلا لأجلها.. ليلة القبض على شطة اعتبرها استجابة لدعواته.

فوزع أرغفة اللحم على الغلابة، وظل يغني حتى الصباح محتفلا.. نظرت إليه باندهاش وخبطت على صدرها: نهارك اسود يا اقرع هتفضل متنحلي كده وطالعلي لحد الشقة كمان.. اتخبلت ولا ايه؟.. كان بصحبته اثنان من رجال معلمه فقال لها: وطي صوتك يا ست البنات.. أنا عبد المأمور وجاي في كلمتين وماشي انا خايف عليكي.. قاطعته في غضب: لم الدور يا أقرع وقول اللي عندك على طول

وسيبك من اسطوانة خايف عليكي دي، فرد في ضيق: كده بردة؟.. طب الله يسامحك.. لمي البت اختك.. المعلم زعلان والباشـــا متعكر ومنتوش قدهم..

ردت في ســـرعة: بت لما تبتـــك واختي عملت إيه يا مدهـــول مخلي معلمك يدخلـــك عليه دخلة قللاة الأصل دي؟.. ضحك وقـــال: يعني متعرفيش البلوة دي؟ أخرج نســـخة من الجريـــدة فاختطفتها منه.. شـــيءٌ بداخلها توقع ما ســـوف تـــراهُ إلا أنها كانت تتمنى أن يخيب ظنها إلا أنه لم يخب.. شـــعرت بدوار عنيف بداخلها إلا أنها لم تظهر شيئًا.. نظرت إليه في غضب وتظاهرت بتجاهلها للأمر وعدم خوفها وقالت له: يقدر حد يقرب لليلى؟.. دي بنتي مش اختي اللي مليش غيرها.. الله في سماه اولعلكو في الحارة كلها وفي المعلم بتاعكو.. روح قول: ربك يســـهلها.

أغلقـــت الباب في وجهه، ورمت بشـــالها.. كانت ترتجف.. الخوف يحرك كل شـــيء.. أطرافها باتت باردة كالثلج، ظلت تردد في هســـتيريا: ليه يا ليلى.. ليه كده يا بنـــت ابويا وامـــي؟!.. التقطت هاتفها ودقت علـــى رقمها عدة مرات.

هناك في كلية الحقوق كانت تمشي، بين ممراتها تترنح بين نظرات فخر بقوتها لتجاهر بشهادة في قضية أصبحت مثار حديث الكل، وبين نظرات أخرى جبانة تستنكر عدم خوفها على نفسها وعلى أسرتها من الدخول في قصة، كتلك تثير الشبهات حتى حول عائلتها رغم كونها ضحية، رأت اسمها على هاتفها.. لم ترد.. رفعت رأسها ومضت وفي داخلها صوت يرن: حان وقت أخذ الثأر.. حان وقت القصاص العادل.. حان وقت الحقيقة.

في إدارة الأمن العام، استلم الملف (مختار أبو الدهب).. العقيد الذي كان مثار جدل واسع وإعجاب أوسع.. يقولون: إن الميري خلق من أجله، وإنه الكتالوج لأي ضابط يريد أن ينجح ويكمل مسيرته، بين قيادات لكل منهم فكره، وبين عالم مواطنوه من الأوباش والمجرمين والسفاحين أيضا.. نظر إلى سيرتي الذاتية التي قدمت له من التحريات وإلى نسخة من الموضوع الذي حمل تأشيرات كثيرة بالفحص.. قرأ باهتمام وأعاد قراءة التحريات ثم دقق النظر في الصورة وقال: عاوزة إيه انتي كمان؟.. هي ناقصة فذلكة صحفين.. قلبتي لنا الدنيا وفي الآخر هيطلع

عالفاضـــي.. مش تتجوزي وتخلفي عيال شـــبهك كده وتنشغلي في البط والمحشي أحسن.. أغلق الملف وطلب من ضابط مكتبه، في الصباح الباكر أن يحدد معي موعدًا للقائه.

جلســـت تبكي على ســـرير والدتها كالأطفال.. في داخلها كانت نار الحـــيرة تأكلها بين أن تفتخر بشـــجاعة شـــقيقتها وبين أن تنتقدها، لأنها ستفتح عليهمـــا أبواب جهنـــم وهما اللتان باتتـــا دون رجل يستندان إليه.. تنفست بصعوبة وهي تتذكر سرها.. انتفضت من مكانها ومسحت دموعها بسرعة، وفتحت بـــاب الحجرة في عنف وهي تســـمع صـــوت فتح باب الشـــقة، أغلقت ليلى الباب وتجاهلت وجودها لتتجه بسرعة نحو غرفتها، فأوقفها نبرتها الغاضبة: ليلى.. تعالـــي هنا يا هـــانم.. اقفي هنـــا كلميني.. البت الصحفية دي هتوديكي في ستين مصيبة.. أنا هكسر رجلـــك لو رحتي لها تاني.. البـــت دي مش هييجي وراها غير المصايـــب.. الأقرع جه النهار ده بيهددنا.. آخرتها هتخلي الســـوابق يطلعوا لحد باب الشقة.. انتي بتبصي لي كده ليه؟.. كانت تنظر لها في ثقة وهي تبتســـم، اقتربت منها خطوة وهمست: أنا هعمل

اللي كيفي فيـــه.. أنا هاخد بتار أمـــي اللي كان خطيبك السبب في موتها، وهيطلع كمان كام سنة يتهنى ويعيش حياته.. انتي مسامحة في حقها وحقك انتي حرة إنما أنا لا.. ويكون أحسن لو متكلمناش مع بعض اليومين دول.

أشـــعل برودها وهي تتحرك أمامهـــا متجهة إلى غرفتهـــا نـــارَ غيظها إلا أنهـــا كظمتـــه، فيبدو أن شقيقتها التي تتلعثم حروفها باتت مصرة على المضي في طريق طويل.. صعب وخطر مهما كانت النتائج أو الخسائر، فطوعها الذي اعتقدت أنها لن تخرج عنه تمردت عليه وبات واضحا، أنها اتخذت قرار المواجهة!

مســـاء ذلك اليوم أصابني الإحباط، فردود الفعل التي توقعتها مـــن قبل الداخليـــة أو وزارة العدل، لم تحدث، ربمـــا ما زال على أن أعمـــل أكثر وأكثر.. عدت إلى بيتي.. كانوا يشـــاهدون أحد برامج التوك شـــو بكل تركيز لدرجة أنهم لم ينتبهوا لدخولي.. اقتربت أكثر.. ما هـــذا؟!.. محطات التلفاز كلها بدأت تنشغل في قصة شهادة ابنة المجني عليها وبالتالي بات هناك ضغط إعلاميّ على قضية شـــفيق ورفيقي مشنقته.. جلســـت بجوار شقيقي أتابع فيما قال لي

والـــدي: الواحد مش عارف يفتخـــر بيكي ولا يخاف عليكي.. يفرح ولايزعل.. بس هو خلاص مفيش غير مواضيع وجـــع القلب دي اللي تكتبي فيها؟

ابتسمت له ابتســـامة مجاملة كانت معناها أنه صميم عملـــي، ولا أرغب أن يتدخل فيه أحد.. أخيرا دق جـــرس الهاتف.. ابتســـمت عندمـــا رأيت اسمه (العقيد محسن) يخبرني أن قطاع التفتيش سيفحص الجزء الخاص بفساد الضابط وأنه لا سلطات لديهم على الحكم، غير أن الموضوع دخل إطار جدي في وزارة باتت ترفض التجاوز.. شـــعرت بالراحة وأنني أمضي على الطريق الصحيـــح.. أخذت حقيبتي ودخلت إلى حجرتـــي.. دق جرس هاتفـــي.. كان المتصل رقما مجهولا فـــرددت في عدم اكتراث فقال المتحدث: مش تقولي إنك فريدة علم الدين.. نورتي القسم.. إيه يا ستي ما لك وما لنا.. اسمعي انتي بت رقيقة وملكيش دعـــوة بالعالم البيئة دول.. ثم مش حرام عليكي ناس قتلت بتدوري لهـــم على مخرج.. لم أصدق أن جرأته وصلت به لمحادثتي.. (الأســـيوطي) بشحمه ولحمه، لم أشـــعر بالراحة في حديثة فـــرددت عليه بصرامة: لا ما قتلوش وانا مصدقـــة العالم البيئة دي.. يمكن

لو مكنتش قابلتك كان ممكن أشـــك.. انفعل في حديثه: بصي يا روح... بصي يا أســـتاذة.. الداخلية مبتظلمش حـــد... قاطعته ضاحكة: وانت الداخلية بقـــا؟.. الداخلية أعظم بكتير مـــن إنها تكون انت.. الداخلية دي شـــايلة المرار بسبب اللي زيك.. وإياك تقـــرب من ليلى.. أغلق الهاتـــف في وجهي.. أما أنا فشعرت بانتصار من نوع غريب.

دخلـــت إلى مكتبه.. كنت أسمـــع عنه كثيرًا.. كنـــت أرى أن أصحـــاب البدل المـــيري وخاصة من المنضمـــين للبحـــث ضباطًـــا ذوي قـــدرات خاصة، ليســـتطيعوا مواجهة وجه العالم القبيح واستخلاص الحقائق، وتقديم أسافل الناس للعدالة.. قرأت اسمه على تلك اللوحة الخشـــبية التي وضعها على مكتبه (العقيـــد مختار أبو الدهب).. لم يكـــن موجودًا رغم اســـتدعائه لي ورغم أنه كان استدعاء غير مرغوب فيه من ناحيتي، إلا أنني كنت أتشوق للقائه فبالنسبة لنا كصحفيين كان كينج كونج البحث الجنائي، فمعظم القضايـــا الضخمة كان اسمه فيها أو حتى له بصمة..

دقائق من انتظاري في مكتبة قبل أن يدخل مختار أبو الدهب مبتسما ومادا يده ليصافحني.. شيء ما جعلني أتلعثم، فعيناه التي نظرت فيهما لم تكونا صافيتين بالقدر الكافي.. تكلم حتى أراك..هكذا قال أرسطو وانتظرت أن يبدأ حديثة بعد إمضائه للكثير من الأوراق التي كانت تنتظره على مكتبه.. نظر وقال: منورة.. بداخلي تعاركت آلاف الأفكار حول سبب وجودي، وماذا سيكون ردي إن كان سببا لن يعجبني أو به إملاءات أو محاذير.. نصف ساعة ظللت أسمعه فيها ولم يتطرق خلالها لسبب استدعائي أو مانشرته، والحقيقة أن الرجل استطاع في ٣٠ دقيقة أن يغير وجهة نظري عن ضباط البحث، فلم يكن مختار أبو الدهب ضابطًا نمطيًا.. كان حريصًا ودودصا مثقفًا وبشوشًا وصاحب قفشات وصارمًا.. رجل متناقض مثل ألقابه التي لا تجعلك مرتاحًا لأي اختيار.. هل الاقتراب منه نعمة أو أن البعد عنه غنيمة؟.. انتهى اللقاء وطوال عودتي كنت أنتظر إجابة لسؤال واحد الأيام وحدها كفيلة بالإجابة عنه: هل هو معنا أو ضدنا؟

الحلقة الحادية عشرة

وردة

في السجن قرأ شفيق ورفيقاه ما نُشر بعد أن استدعاهما المأمور لرؤيته.. ابتسم ابتسامة عظيمة فيما طار صديقه من الفرحة أما شقيقه فنظر إليه، دون اكتراث فعلي قال له: مش فرحان؟.. الحمد لله حد آمن بقضيتنا.. شكلها هتعملها وهتطلع رجولة.. نظر لهما دون أن يهتم وقال بيأس: انتو فرحانين على ايه.. ده كلام جرايد.. نظر إليه صديقهما وقال: لا ده هيعرف الناس كلها إننا مظلومين وجايز الغمة دي تنزاح.. نكس رأسه: انتو عايشين الوهم.. قبض شفيق على ذراعه، وقال: إيه يا أخي قرفتنا بقا.. متقتلش فرحتنا حرام عليك.. انت كل يوم بتموتنا بيأسك ده.. ابتسم عليّ ونظر إلى شقيقه، كانت عيناه تملأها الدموع فصرخ فيه: أنا قلت لك

نبيع له الشقتين وده ظابط مش سهل وهيبهدلنا بدل دخل في الموضوع، واني لسّه شباب وفي أول عمري ومش عاوز بهدله.. قولتلـــي ايه؟.. أنا افكرك.. أنا اخوك الكبير ومش هســـمح لحد يئذيني ولا يئذيك والبلد فيها قانـــون والنتيجة اهه.. انت ودتنا فين؟..

يا ريتك ســـجنتنا بس.. احنا هنتعدم.. هنموت ملعونين وســـايبين عار لاختـــك البنت.. أمنا ماتت بحســـرتها.. البنـــت اللي بحبها اتجـــوزت.. حياتي كلها ضاعت.. وكلة بالقانون.. عاوزني أثق فيك وأتفاءل وانا أقل من ٢٥ يوم هقابل عشـــماوي.

- فريدة بتاعتكو دي هتقدر تواجه الأسيوطي واللي معاه وإن واجهته هو هيسيبها؟.. انتو اللي ترحموني وكفاية أحلام بقا.

انخرط علي في بكاء عنيف.. شعر شفيق بأنه قسى عليه، رغم أن عباراته وإلقاءه لما هم فيه على كاهله، متجاهلا الظلم الذي وقع عليهم كان وضعا يقتله.. ابتسم وضمه إلى صدره قبل أن تفرقهما الحراسة بعد أن نجح في تسريب اليأس إليهما.

***

حضرت كتبهـــا وأخذت حقيبتهـــا متوجهة إلى كليتها.. ذهبت إلى بـــاب غرفتها مترددة أن تقابلها فالوضـــع بينهما بات متأزمًـــا.. اختارت ألا تدق باب حجرتها وأن تنزل في هدوء.. حاولت فتح باب الشقة إلا أنه كان مغلقًا.. أيقنت أن مفتاحها غير موجود.. لا بد مـــن المواجهـــة.. دقت بـــاب غرفتها فخرجت لها.. كانت عينـــا وردة الواســـعتان حمراوين.. لم تنم ليلتهـــا.. قالت لها في عنف: عايزة إيه يا ســـت الأستاذه؟.. نظرت لها: مفتاحي مش لاقياه.. هاتي مفتاحك عشان.. سكتت وهي تراها تلوح بمفتاحها لتخبرها أنه بحوزتها.. انفعلـــت ليلى: ده معناه إيه ده؟!

التفتت لها واضعة يدها في وســـطها وقالت: معناه أنه خلاص.. واللي ملوش كبير بيشـــتري له يا بنت أمي وابويا.. أنا أمي موصياني عليكي ومفيش خروج من البيت لحد لما القضية الزفت دي تتقفل.. نظرت لها في حـــزم: هاتي المفتاح يا ورده.. تطور الشـــجار بينهمـــا، انفعلت عليها فبكت ليلـــي.. رفعت عيناها وقالت في حزن: أنا مش هســـمح لك متخلنيش آخد بتار امي.. آخد بتارك انتي كمان.. آخد بتار نفسي

من اللي دمرنا كلنا.. ضمتها شقيقتها إلى صدرها وقالـــت في حنان بالـــغ: أبوس ايـــدك كفايانا اللي جرالنا.. انسي.. ســـيبي تارنا عندي انا.. انا حياتي ضاعـــت وانتي حياتك جاية متضيعيش نفســـك.. مين قالك إني مش مستنيه خروجه بفارغ الصبر؟.. انتزعت نفسها من حضنها وقالت لها في عنف: طول عمرك أنانية.. لويتي دراع أمي عشان تتخطبي له، رغم عدم رضاها وأنها كانت خايفة علينا منه، بس عشان أنانيتك وافقت..

عارفة أن في ناس مظلومة وهتتعدم بسببه ومنيمة ضميرك عادي جدًا عشان خايفة أن النبش في الماضي يحبســـك لأنك قاتلة بردو.. ودلوقتي عاوزة تاخدي بتارك لوحدك.. لا يا وردة.. انتي غلطتي فبتشـــيلي جزء من الذنب.. أنـــا عملت إيه؟.. ولا أي حاجة.. عشـــان اتحرم من أمي واعيش بعاهة في لســـاني من الصدمة وذكريات تفضل مطارداني طول العمر ونار مبتنطفيش.

جلســـت على أقرب كرسي بعد أن شعرت بدوار.. وضعت يدها على رأسها وانهارت باكية.. وقفت ليلى وهي تحاول أن تبين عدم تعاطفها معها واقتربت منها

منتشلة مفتاحها من بين أصابعها التي أصابها الوهن ورحلت في هدوء.

***

ابتسم لي وهو يضع فنجان قهوته، وقرر أن ينهي حالة الصمت والترقب التي خيمت على اللقاء فقال فجأة: هو إيه اللي انتي كتباه ده؟.. التلت عيال دول خلاص اتحكم عليهم.. مش احنا بقا اللي هنطلع أحسن من كل اللي حاكموهم، ونعمل حلقات في الجرنال وانتظرونا العدد القادم وبتاع.. والعيال هتتعدم هتتعدم لأن معنديش شك إنهم قتلوا بس تكوني انتي خلقتي منهم شهدا، وعملت لنا شوشرة ولا ايه؟.. وضعت فنجان قهوتي ونظرت له: انت ليه باصص للموضوع أنه مقصود منه الشوشرة يا فندم؟.. مش جايز مقصود منه إثبات براءة الناس دي.. هو انت حققت في القضية دي أو شفتها؟.. ابتسم وقال: لا بس... قاطعته: يبقي مفيش حاجة أكيده.. أنا هستمر في تحقيقي الإنساني ولو اتعدموا من حقهم إنهم بعد ما يموتو تبقي سمعتهم كويسة.. القهوة حلوة على فكرة بس انا بشربها سادة مش زيادة.. أخذت حقيبتي وشاورت له بطريقة طفولية مودعة

إياه.. الغريبـــة أن أبو الدهب مارد الداخلية العملاق لم ينطق بكلمة فقط ظل مندهشًا.

عـــدت إلى مكتبي بعـــد أن أخبرني عـــم إبراهيم تليفونيًا، أن هناك ضيفة في انتظاري.. اعتقدت أنها ليلى فذهبت إليها مســـرعة إلا أنني فوجئت بآخر من أتوقع وجوده هنا.. وردة التي بدت ذابلة مرهقة قالت لي: انتي عاوزة مننا إيه؟.. حرام عليكي.. جلست على مقعدي رافعة صوتي بغضـــب خافية تعاطفي: حرام على مين؟.. حرام عليكي انتي يا شيخة.. ناس هتموت بريئـــة.. قالت في عنف: ما يموتو.. مش أحســـن ما كلنا هنموت.. هما كده كده ميتين.. ليه بسببهم ناس تموت؟ لا تكوني فاكرة أن الأسيوطي ولا المعلم ولا اللي وراهم هيسيبونا عايشين واحنا بنفضحهم.. حرام عليكي دي بت صغيره.. اقتربت منها في حماس: وردة لو جالك تهديدات قولي لي.. احنا ممكن ندبر لكو مكان بعيـــد عنهم تقعدو فيه.. وانا هبلغ قيادات الأســـيوطي أنه يبعد عنكو.. قاطعتني: دول إيديهم طايلة لو استخبينا فين هيجيبونا.. نظرت لها بحزم وقلت: اسمعي أنا اللي عندي خلص.. مش هطردك زي ما عملـــتي.. أنا هروح اجيبلك عصير.. أوقفتني

وقالت في ضعف وهي تبكي محاولة تقبيل يدي: أبوس ايدك.. أبوس ايدك ارحمينا وابعدي عننا..

لا أعلم لماذا لم أشعر بالتعاطف معها.. كنت أرى أن منتهى القسوة أن يتمنى أحد موت آخرين ليحيا هو في هدوء.. شعرت بالضيق فطلبت لها العصير وأخذت حقيبتي ورحلت.

***

فتح العقيد أبو الدهب الملف مرة أخرى.. نظر إلى صورتها المدون أسفلها اسم فريدة علم الدين.. قليلا ما كان يعجبه أحد، إلا أنها استطاعت أن تلفت نظره.. حدث نفسه أنه رغم صغر سنها لديها شجاعة يفتقدها الكثيرين أمام الميري.. ليست صحفية عادية بل فريدة من نوعها كاسمها.. امرأة ناضجة بتصرفات طفلة تجذبك براءتها رغم منطقية وعقلية ما تقول.. مزيج يزيد من قبولها كثيرًا لدى أي شخص تحدثه.. يبدو أنه اختار الطريقة غير المثالية للتعامل مع فتاة مثلها، لديها عقل يتدبر وشموخ لمهنتها يأبى الانكسار يجبر من حولها على احترامه.

***

دقّ جرس هاتفي.. كان هو.. عبد الوهاب زميلي اللدود.. بصوت مليءٍ بالشـــجون قال لي: فريدة انتي فين؟.. قلت له أنني عدت إلى بيتي بعد يوم طويل، فقال لي: أنا رايح هنـــاك.. عند الحاجة.. رايح المريوطية أطّمن عليها.. صمـــتُ قليلا ثم قلت له: خير يا عبد الوهاب فيه حاجـــة؟ فرد بصوت حزين: لا بس النهار ده ذكرى أمي الســـنوية.. مش عارف ليه الست دي لمستني.. هي محتاجة اللي يقول لها: يا أمي، وانا محتاج اللي أقول لها: يا أمي.. أنا هروح اطَّمن عليها وكنت فاكرك هتيجي.. كنت أريد أن أعرف إن كانت قد رأت الجريـــدة صباح اليوم.. عليّ أقنعها بالشـــهادة.

طـــوال الطريق إليها اختفى مرحـــه.. وأنا أيضا كان تفكيري مشـــغولا بكيفية إقناعهـــا... وصلنا إليها فنزل فاتحًا الباب الخلفي، حاملًا حقيبة هدايا صغيرة.. عينا زميلي كانت مليئـــة بالدموع.. بات الحنين لوالدته الراحلة التي ربته يتيم الأب يقتله.. ناداها بصوت عال: يامـــا.. أمّا.. كنت أتعجب من حالتـــه، فلم يمر الكثير على معرفتنا بها ولم نرها إلا مرة، إلا أنـــه كان يتصرف معها وكأنه يعرفها منذ سنوات.

لم أعلق فالموقـــف كان إنســـانيًا تمامًا.. تهللت أســـاريرها عندما رأتـــه.. دموعها نزلـــت منها من فرحتها به.. أما هو فأخذها في حضنه وكأنه يطفئ نار شوقه.. أخرج شالًا حريريًا أهداه لها.. نظرت إليه بامتنان ونظرت لي ثم له، وقالت: انت جبتها معاك ام نص لســـان دي برده؟!.. ضحك وأشار لي بالاقتراب للســـلام عليها وجلســـنا بحضرتها.. كل أحاديثها كانت حكايات عن ابنها الراحل عز الرجال.. سألت عبـــد الوهاب عن وجبته المفضلـــة فقال لها: العدس الصعيدي، فهمـــت تطبخها له بعد أن أعطتني بعض الخضر لتقطيعه، بعد وصلـــة توبيخ عن خيبة بنات اليومين دول.. كنت أسمـــع لها باهتمام متمنية أن تتطرق لقصة شفيق، أما هو فكان سعيدًا وهو يحتسي كوب الشـــاي الذي أعدته له.. سألتها في حذر عن إمكانية تركها للمكان، بـــدلًا من أن تتعرض لموقف آخـــر، فقالت في غلب: هروح فين هـــو انا ليه حد؟.. وقبل أن أشـــتق سؤالا آخر يجرنا إلى قضية شفيق دق جرس هاتفي.. أنار باســـم (ليلـــى) بطلة عدد اليوم فرددت لأداعبها.

الحقيني يا أســـتاذة فريدة الحقيني.. قالتها وهي تبكي.. أصابـــني الفزع.. فقالت وهـــي تصرخ: وردة انتحرت!

الي اللقاء في الحلقة القادمة

انتظرونا السبت والاثنين والأربعاء من كل أسبوع.

***

طوال الطريق إلى المستشفى

صاحبني تأنيب الضمير.. ارتمت في حضني عندما رأتني كانت كغريق يتعلق بقشـــة.. لم أسالها عما حدث إلا بعد خروج طبيب وردة، ليخبرنا انها تجاوزت مرحلة الخطر.. هدأت قليلا فاعتذرت لها عن كوني ســـببا فيما وصلت إليه، رغم أن عقلي غير مقتنعٍ أن ســـبب محاولتها الانتحار هو خوفهـــا عليها، رغم أن النشـــر أمّنها.. هزت ليلى رأســـها في انكسار بعد أن تعجبـــت من قدومها إلى مكتبي، فهـــي لم تكن تعرف بذلك وقالت لي أن مشادة حدثت بينهما في الصباح.. ســـألتها عما حدث وكيـــف أقدمت علـــى محاولة انتحارها.. قالت وهي تتنفس بصعوبة: أنا حســـيت

بإني قسيت عليها أوي.. محضرتش المحاضرة الأخيرة ورجعت على غفلة.. لقيت جواب ع السفرة.. فتحته ولقيتها كاتبة فيه: ســـامحيني و... بكت وأكملت: المهـــم كلام كتير كده معنـــاه انهـــا بتودعني.. جريت علـــى أوضتها ملقتهـــاش فخبطت ع الحمام مردتش.. جريت استنجد بالجيران فلقيت الأقرع في وشي.. كسر الباب ولقيتها غرقانة في دمها وقاطعة شـــراينها.. أنا بكرة الدم بكرهه مـــن يوم وفاة امي.

لم أعرف كيف يمكنني أن أسألها عن سبب إقدامها على الانتحار، إلا أنني قررت أن أرحل فالمســـكينة التي قررت الخلاص من حياتها، بســـبب ضغطنا قد تصاب بانهيار عند رؤية وجهي.. استأذنتها على أن أعود لها صباحًا.. في الممر وجدته جالسًـــا يبكي كالأطفال بيده مصحف، جالسًـــا على بـــاب العناية المركزة في وضع القرفصاء.. الأقرع لم يكن شيطانًا مثلما رأيته أول مرة.. كان ملاكًا يتضرع رغم آثامه التي يغرق فيها.. الأعمى يستطيع أن يؤكد أنه يعشق وردة وأن حياته قد تتوقـــف بعدها.. التقت عينانا فهربت منه ومضيت في طريقي!

***

جلس على مكتبه وهو يستقبل مكالمة واردة، من تاجر المخدرات يخبره فيها بآخر التطورات فقال له: البت دي تنتحر ولا تغور في داهية المهم اختها متنطقش.. انا مقدرش أقرب لهم العنين مفتحة عليا.. ما هو لو قبل ما تنشر الصحفية كلامها كان ممكن لكن دلوقتي لا.. لو اتعورت بس هيبقى انا.. البت الصحفية دي لعبتها في الجون.. طمأنه قبل أن يخبره أن كل ما يرغب فيه سينفذه (النحنوح) صبيه الآخر لاختفاء الأقرع لسبب لا يعلمه.. أغلق الهاتف وتنفس في غيظ.. فسؤال قطاعي الأمن العام والتفتيش عن القضية أصابه بتوتر عظيم!

***

شعرت بقبضة قوية كادت تخلع ذراعي.. أخرج من جيبه مطواته وأشهرها في وجهي.. لم يعطني فرصة لاستيعاب ما يحدث.. صرخ في: وحياة أمك لو جرالها لخليكي تتمني الموت ألف مرة واقتلك واقتل نفسي وراكي. أمسك عبد الوهاب بيده، ليفلتني من قبضته وجرت علينا ليلى، التي وبخته قبل أن يأتي أمن المستشفى ويلقي القبض عليه، تمهيدًا لإبلاغ الشرطة.. هنا تحول الوحش الكاسر إلى طفل

يبكي.. يستعطفني أن أسامحه وأجعلهم يتركونه.. قالها صراحة: أنا مقدرش ابعد عن ســـتي وتاج راسي.

آه من الحب يا ورده.. تلك الطاقة العظيمة التي تتولد منه، لتقتل الغل والعنف والحقد بداخل أعظم الشياطين قبحًا.. كيف تموتين، وهناك من يحبك هكذا على وجـــه الأرض وإن كان الأقـــرع؟!.. أريد رجلًا يعشـــقني كعشقه لك، رغم بساطته وجهله.. أخرجني من شـــرودي صوتُ الطبيـــب، الذي يأمرهم بتسليمه للشرطة، إلا أنني عفوت عنه وقررت أن أرحل في هدوء، فكفانا جلبة تؤرق ليلى وتثير قلقًا أكبر هي في غنى عنه.

قرأ (مختار أبـــو الدهب) القضيـــة باهتمام بالغ وكأنـــه سمع نصيحتي.. هذه المـــرة قرأ أوراق أخرى لتحريات ضباطه حول الشـــقة، محل الواقعة ومسرح الجريمة، ورفعت الأسيوطي نفسه.. رغم وجود ألغاز وخيوط تشير إلى احتمالية صحة ما أقول، إلا أنه كان يتمنى أن يكون كل هذا مجرد شـــكوك وخزعبلات لا أساس لها من الصحة!

أحضر لهـــا ســـاندوتش وكوب شـــاي.. كانت دموعه تتســـاقط في الكوب.. لم ينطق بأية كلمة.. نظرت له ليلى في دهشة وهو يعاود الجلوس على باب العنايـــة كالأطفال.. خرجـــت الممرضة لتطمئنهم على صحتهـــا.. أعطاها ٢٠٠ جنيهـــا.. كل ما في جيبه لحظتهـــا مقابل أن تعتني بهـــا أكثر.. عادت لمكانها.. تذكرت الورقة التي كتبتها لها شقيقتها.. أخرجتها من حقيبتها لتعاود قراءتها بعد أن اطمأنت عليها.. فعقلها كان يتذكـــر العديد من الكلمات التي لم تستطع تفسيرها.. أخرجت ورقتها التي بدأت سطورها بأول الألغاز وكان مفاجأةً من العيار الثقيل!

***

أخرجت رسالة شقيقتها التي كتبتها وهي تعتقد أنها تودع العالم.. تذكرت أنها قرأت مفاجآت كثيرة لم يســـتطع عقلها وقتها استيعابها: سامحيني.. انتي بنـــتي البكرية مش أختي.. أنـــا عارفة إنك بتلوميني على موت أمـــي.. أنا فعلا غلطت وكنـــت أنانية.. مخترتش صح ويتّمتك وبهدلتكـــو معايا بس كله مكتوب يا ليلى.. أنا حبيت شـــطة جـــدًا.. وانا اللي انكويـــت بنار الحب ده.. قتل أمي وضحك عليه بس

انا مقتلتش ابني، زي ما قلت لك.. أنا مقدرتش رغم إني مش عارفة إذا كنت بحبه ولا بكرهه.. أنا ابني عايش وعنده ٧ سنين وسميته (مصطفى) وقاعد في ملجأ المواساة.. وأي حاجة هتفتح القصص القديمة دي هتجيب لنا العار.. أنا هبقي نقطة ضعفك اللي هيمسكوكي منها عشان متنقذيش الناس دي من حبل المشنقة.. الأسيوطي يعرف بغلطتي مع شطه.. هو قال له على كل حاجة.. أنا مش أنانية يا ليلى، ولا عاوزة أقل من نظرك أكتر من كده.. في نفس الظرف بتاع الجواب هتلاقي ميموري موبايلك.. أنا محرقتوش زي ماقلت لك... إديه لفريدة علم الدين وامشوا الطريق سوا جايز ربنا يغفر لي.

شعرت بارتباك وهي تعيد قراءة الرسالة عدة مرات، قبل أن تغلقها وهي مضطربة من دخول الأقرع عليها ليخبرها أن الطبيب يريدها.

***

نادى عليها بصوته الأجش المرعب.. أمسكت بقنديلها ومن خلفها عبد الوهاب ليريا من زائر الفجر.. امتقع وجهها.. وابتلعت ريقها بالكاد.. كان (مندور أمين الشرطة) الذي يعمل مع الأسيوطي

وذراعه الأيمن.. قالت له: خير يا باشـــا.. نظر لعبد الوهاب وقال لها: حطي يا وليـــة القنديل ده وتعالي معايا الباشا عايزك.. ارتجفت وقالت له: أنا معملتش حاجـــة عاوزني في إيه وش الفجر كده؟.. أمســـك بياقة عباءتها في عنف وقال لها: إنتي هتحققي معايا يا وليه؟.. لم يتحمل عبـــد الوهاب طريقته، فقبض على يده وأمره بأن يتركها.. أخرج مندور ســـلاحه بكل رعونة وشـــد أجزاءه مصوبا النار نحوه.. ارتمت الحاجة عليـــه صرخت فيه: ولدي يا باشـــا.. أبوس ايدك يا باشا.. جذبها من عباءتها لتركب البوكس في عنف..

كان (الملواني أمين الشرطة) النزيه الطيب القلب يقـــف بعيدًا غير معجب بما يفعلـــه زميله.. قال له: بالراحة يا أخي دي قد أمك.. لم يكترث مندور له.. نظر لها وقال: معلش يامّـــا.. كله هيبقي كويس بس اسمعي كلام الباشـــا.. بكت بحرقة وهي تنظر لعبـــد الوهاب، الذي ترجل راكبًا ســـيارته ليتركها معهم إلا أن قلبها عذره.

***

عادت ليلى إلى شقتهما.. بحثت عن الظرف الذي وجدت فيه رسالة شقيقتها.. بعد بحث لدقائق وجدتة أسفل السفرة فأخرجت شريحة ذكية.. داخل قلب المصحف الذهبي الذي لم تخلعة من رقبتها منذ وفاة والدتها والذي ورثته عنها.. خبأته.. فتحت الباب ففوجئت به أمامها.. كان هو النحنوح الذي اعترض طريقها بخمسة رجال.. شعرت بالشر في عيونهم.. فحاولت أن تستغيث إلا أنه كمم فمها.. لا يستوعب عقلها ماذا يحدث أو ماذا يريدون.. باتت وحيدة بين أنيابهم التي لا ترحم.. نادت على وردة فهي من تبقى لها في الدنيا.. لم تقل لها منذ وفاة والدتها كم تحبها، والآن ربما تفقد حياتها دون أن تقولها لها أو تعرف أنها كانت تستمد قوتها منها.

***

أمام مكتب رفعت الأسيوطي وجدته واقفًا.. لم تكن تعرف تبكي فرحًا أم حزنًا أم خوفًا عليه.. صرخت فيه: إيه يا ولدي اللي جابك.. امشي يا حبيبي امشي.. وجه عبد الوهاب نظراته نحو مندور الذي اقترب منه قائلًا: إيه ياد اللي جابك هنا؟.. اتهبلت في مخك.. خرج رفعت الأسيوطي من مكتبة موبخًا مندور بشدة

ونظر لعبد الوهاب، مرحبًا على مضض وأمر الملواني بترك السيدة العجوز، التي ارتمت في أحضان عبد الوهاب الذي رفض دخول مكتب الأسيوطي، ورحل في هدوء رافضًا سماع تبريراته بالإتيان بها في الفجر دون إذن نيابة.

اقتحم شيبة الأقرع شقة وردة بعد أن كسر بابها.. كان كالوحش الهائج لينقذ ليلى ضاربًا بأوامر معلمه الذي عرفها صدفة من أحد رجاله عرض الحائط.. أنقذ فريستهم من أنياب ذئابها الذين هرولوا من أمامه كالقطط.. احتضنها الأقرع وهي ترتجف.. لم تنفر منه رغم كراهيتها له طوال تلك السنوات، لأول مرة تراه بعين أخرى.. قال لها في لهفة وحنان: انتي أخت ستي وحبيبتي يعني بنتي.. محدش هيقرب لك.. من دلوقتي انا هبقى معاكي زي ضلك.. كان عليكو ده كله بإيه!.. دق جرس هاتفه.. كان على الطرف الآخر معلمه الذي طارت إليه الأنباء بما فعله..

أخبره أنه سيأتي له حاملًا كفنه لعصيان أوامره، بمجرد أن تفيق وردة.. وحلفه بكل خدماته التي أسداها إليه أن يوافق.

***

دخلا إلى عشـــتها.. فوجئت به يلم ملابسها.. في أكياس فارغة.. قالـــت له: إيه يا ابني بتعمل ايه؟.. نظر لها متحدثًا بشـــكل حاســـم: مش هيسيبك في حالك.. فريدة جابت شاهد رئيسي في قضية الإعدام وهو عارف إنها جات لك هنا.. هيرعبك عشان تسكتي لإما هيقتلك.. انتفضت رعبًا وقالت له: وانت إيه يا ابني اللي يدخلك في الحكاية دي؟.. ســـيبني واللي ربنـــا كاتبه هيكون.. أمســـك بيدها وقال: محدش بيســـيب أمه يا أمي.. وابنك شـــهم ولا عاوزة البت فريدة تطلع أرجل مني؟!.. عز الرجال لسّه ممتش.. كانت عيناها تبكي وهي تبتســـم فخرا به وارتمت في أحضانه: اسم الله على شـــبابك وهيبتك يا ابني.. جففـــت دموعها وقالت له: بـــس هنروح فين؟.. نظر إليها: عندي في شقتي بس يللا عشان كده يا دوبك!

***

لَمْ يلاحظ عبد الوهاب تلك الســـيارة التي وقفت بزجاج أســـود تراقب تحركاتهمـــا.. كان بداخلها (سلطان).. القاتل المأجور والمطلوب أمنيا في عدد من القضايا والذي يعيش في حماية أصحاب النفوذ، مقابل

أن ينفذ أو يكون وسيطا لكل عملياتهم القذرة.. أخذ عبد الوهاب (الست هنية) ورحلا إلى بيته وفي الطريق حكى لي ما جرى.

***

انتظرت قدوم الصباح بفارغ الصبر، لأمرين لرؤية وردة وأن أجـــري اتصالا بمختار عبد الحي أخبره فيه بما يفعله الأســـيوطي.. لم أطلب مـــن عبد الوهاب الـــذي كان فرحًا بوالدته الجديـــدة أن يتركها في أول يـــوم لها معه وأن يأتـــي لإيصالي.. توجهت إلى المستشـــفى في تاكسي.. طال الطريق قليلا فشعرت بالخوف لادعاء سائقه، أنه يختصر الطريق بالصعود على الدائري.. أصابني ارتباك دفعني لإرســـال رسالة إلى رقمه.. رســـالة محددة بالنطـــاق الجغرافي الذي أصبحت فيه.. مع ظهور علامـــات الزراعات، طالبت الســـائق الصامت بالتوقف وشـــرعت في فتح الباب، إلا أنني وجدته قد أغلق كل شـــيء.. بت أصرخ دون جدوى، توقفت السيارة أمام مزرعة.. ونظر لي سائقها في المرآة قبل أن يضحك بشـــكل جنوني وينطلق في سرعة.

***

الحلقة الرابعة عشرة..

سوء حظ

نظر لي سائق التاكسي المخيف، في المرآة قبل أن يضحك بشكل هستيري وينطلق في سرعة جنونية، حتى أول الدائري ويأمرني بالنزول، نزلت بسرعة وأنا لا أصدق.. مهما كان من يريد أخافني فقد نجح في بث الرعب داخلي!

انتبهت إلى هاتفي، الذي ظل يرن لنصف ساعة متواصلة.. كان هو (العقيد أبو الدهب) الذي كنت أرسلت له رسالة من هاتفي بموقعي الجغرافي.. أخبرته بما حدث معي وأنني أعلم أنها رسالة من الأسيوطي.. لم يعلق واكتفى بأن طلب مني القدوم لإعطاء رجال وحدة الدعم الفني أوصاف التاكسي وقائده.

في المستشـــفى كانت تنتظرني ليلى على أحر من الجمر، فبعدما حدث كان لا بد لها من أن تصارحني بكل شيء؛ فليس من العدل أن ندخل في حرب كهذه، مليئة بالألغاز المخفية لا نعرف عنها شيئا ويحفظها عدونا عن ظهر قلب.

عندما رآني أدار وجهه.. فالأقرع ما زال يكرهني.. في اعتقاده أنني من دفع حبيبتـــه للانتحار.. دخلت إلى ليلى.. كانت في عينيها شجاعة غريبة وحماسة مختلفة يحركها إحســـاس زائد بالانتقام.. جلست بجواري، أخرجت من حقيبتها رســـالة شـــقيقتها.. طلبت مني قراءتها وذهبـــت لتحضر لي فنجان قهوة من بوفيه المستشفى.. لم أفهم الكثير من سطورها.. كيف ضحك شـــطة عليها ومن هذا الذي لم تقتله، وهل لوردة ابـــن؟.. القصة باتت مرعبة ومتداخلة..

حضـــرت ليلى وأخذتني الحماســـة لأفهم منها ما يحدث، لم يكـــن لديها الكثير من تفاســـير ما حدث غير أنهـــا قالت لي إنها سمعت شـــقيقتها وردة وهي تستعطف شطة بالإســـراع بالزواج منها بعدما حدث بينهما.. لم تفهـــم وقتها لأنها كانت صغيرة.. غير أن وردة زادت في الإلحاح على والدتهما لتوافق على أن

تزوجها شطة سريعا، دون مهر بحجة أنها تحبه وأنها تشتري راجل وسند.. لم توافق والدتهما دون أن يدفع لهـــا مهرها الـــ ٣٠ ألف جنيـــه والذي كانت تعتبره مبلغا تافها، إلا أنها كســـرتها بحبها له..

علمت والدتهما من الصائغ أن شطة باع مصوغات ذهبية شـــبيهة بالشـــبكة التي اشـــتراها لورده، والتي أكملت من مالها عليها لتشـــتري لها ما يليق بها.. عادت من المدبغة وواجهت وردة فلم تســـتطع الإنكار وقالت لها: إنه سيدفعها لها كمهر، لأنها مصرة على تعجيزه.. الأقرع وقتها أخبر والدتي أن شـــطة ذهب لأحد سماســـرة السفر إلى إيطاليا عن طريق الهجرة الغير شـــرعية وأعطاة ٣٠ ألف جنيه، تمهيدا لســـفره خلال يومين.. والحقيقة أن الأقرع كان خائفا على وردة من مغبة الســـفر، في رحلة كهـــذه، قد تهلكها فالكل يعرف أنه يعشـــقها، ولم يستســـلم حتى بعد خطبتها ولأنه أراد أن يستفســـر بشكل غير مباشر إن كنا قد حددنا موعد الزفاف، فربطت أمها الأحداث وكشـــفت اللعبة، التي كان ينوي شطة فعلها..

قالت لوردة ما قاله الأقرع ورفضت تصديقه بحجة أن الأقرع يكرهه ويعتبره غريمة، إلا أن والدتي ذهبت

للبحث عنه لمواجهته وفسخ الخطبة وإعادة مالها في الوقت الذي هددتها فيه بالانتحار.. أكملت ليلى حكايتها وقالت: إنها لم تكن تعلم سر تمسك وردة به إلى هذه الدرجة، إلا بعد أن قتل والدتها وبدأت بطنها في البروز، وقتها انتهزت فرصة دخولها إلى مصحة نفسية، ليكون مبررا لاختفائها من الحارة، حتى وضعت جنين سفاحها الذي حاولت إجهاضه أكثر من مرة، إلا أنه تشبث بالحياة.

أكملت ليلى: كانت تعتقد أنني لا أعي ما يحدث حولي إلا أننا بعد أن عدنا، واجهتها بخطيئتها ولم تنكر وأخبرتني أنها قتلته، ودفنت الفضيحة في منطقة لا يعرفها الجن الأزرق، وأنها تريد أن تبدأ حياة جديدة، تحقق فيها حلم والدتها بأن أتم تعليمي الجامعي، فبالنسبة لها سأكون ابنتها الوحيدة وإنها لن تتزوج أبدا حتى تأمن ألا يلاحقنا العار.. وقتها ثرتُ عليها لقتلها طفل دون ذنب، إلا أنه حدث ما حدث ووجب علينا الصمت!

وقتها كانت ليلى تشاهد كل تفاصيل جريمة قتل والدتها، على المحطات وفي صفحات الجرائد، ولم تفهم أبدًا لماذا أو كيف تم الزج بثلاثة آخرين

شركاء لشـــطة إلا أن ٨ سنوات نضجت فيها، كانت كفيلة لتفهم كيف سار الأمر، في نهاية القصة قالت ليلى: أخطر جملة الميموري موجود وده دليل كويس.

نظرت لها في دهشـــة وقلت: ميمـــوري ايه؟ قالت: كارت ميمـــوري.. لم أفهـــم ما تقصـــد إلا بعد أن أخرجته، من مصحف ذهبي تعلقه في رقبتها كمصاغ ورثته من والدتها وقالـــت: في حد جالنا البيت.. هو فين أو مـــين معرفش.. هو قابل وردة وادالها ميموري كارت عليه الجريمـــة كاملة، وظهر فيه الأســـتاذ شـــفيق في آخره.. نظرت لها في صدمة شـــفيق ظهر فيـــه.. يعني قتل مامتك؟

هزت رأســـها نافية وقالت: لا.. هو كشف شطة.. شـــطة بس هو اللي قتل امي.. اللـــي جاب الميموري كان واحد من السكان اللي ساكنين في العمارة، اللي حصلـــت فيها الجريمة وهو صور مقطع على موبايله ولما عرف أنه كله اتجاب في الرجلين، وأن القصة فيها ناس تقيلة؛ خاف بس عشان يريح ضميره سلمة لوردة وقالت لي: هروح القسم أسلمه، هو كده كده مقبوض عليه لكن حـــرام الناس اللي معـــاه دي، لكن رجعت ووشها حزين وكانت خايفة وبتترعش وقالت لي: إنها

حرقته وكل واحد بيشوف نصيبه.. وبقيت الحكاية عندهـــا ومحدش يعرف حاجة لكـــن دليل تاني اهه.

قلت لها: هتديني الميموري ده صح؟.. قالت: طبعا لازم الأستاذ شفيق واللي معاه يخرجو وناخد تارنا من شـــطة.. اعتبرت دليلا ماديا كهذا وقاطعا تعويضا عما حدث معي صباحا فابتســـمت متناسية رعبي.. أخذت الميمـــوري بعد الاطمئنان علـــى وردة، ورحلت إلى الجريدة.. لم أوقف هذه المرة تاكســـي بل رحلت في ميكروبـــاص.. اتصلت بعبد الوهاب لأحكي له عن تفاصيـــل ما حدث معي صباح اليـــوم إلا أنني أغلقت معه بسرعة بعد أن رأيت رقم العقيد أبو الدهب، على خاصية الانتظار.. قال لي: انتي فين يا فريدة؟.. احنا قاعدين مستنيينك.. قلت له في برود يغيظ: هتفرق ايه؟.. عربية تاكسي زي ألف عربية.. هتفرق إيه إذا كنت مش مقتنع بكل اللي بعمله، وعموما اســـتنى دليل اقوى.. قال لـــي في غيظ: انتي فين؟.. قلت له: مش جيّه أصـــل انا... قاطعني في عند: أحســـن انا غلطان ومتتصليش تاني تقولي الحقني واراهنك أن كل دي أوهـــام.. أغلق أبو الدهـــب خط الهاتف في وجهـــي، مما أثار حفيظتي، إلا أنني لم أُعد الاتصال به

وعذرته، اما هو فلم يعد يعرف إن كان حقا ما يحدث وهما، أم أنهم عليهم البحث وراء الحقيقة التي أنا في طريقي إليها.

بيني وبين دليل براءة شفيق وشقيقه خطوة واحدة.. أخرجت الميموري ووضعتها للعرض وانتظرت أن تفتح.. أعدت الضغط على زر بلاي أكثر من مرة، لافاجأ بالكارثة فمشاهد الميموري أصابها عطب واضح فصورها باتت باهتة.. أصابني إحباط فظيع وشعرت بأن كل شيء سينهار!

كلف أبو الدهب فريق البحث بتكثيف تحرياته، حول الواقعة وكتابة تقارير مفصلة.. في السجن جلس شفيق في زنزانته يستعد لتناول وجبته.. من خلف الزنزانة جاءه صوت أجشّ قال له: انت مش ميت ميت.. عاوز تفتح أبواب جهنم على عيالك واختك ومراتك ليه؟.. لم لسانك.. شعر شفيق بالخوف وبدأ في الدق بقوة على باب زنزانته، بعد أن أصابتة حالة هياج.. طلب لقاء المأمور الذي حكى له ما حدث فحرر محضرا بالواقعة ليبدأ في تكثيف تحرياته، لمعرفة من هدد صاحب البدلة الحمراء.

في الصباح وجدت على مكتبي رسالة منه، تحكي ما حدث معه وأنه يرجوني ألا أُكمل ما بدأته لأنه يعرض أطفاله للخطر.. كدت أن أمزق رسالته.. الكل الآن ينسحب إضافة إلى سوء الحظ... كنت قد أخبرت ليلى بأن الميموري غير سليمة وأنني أعطيتها لمصطفي النجار عبقري الإلكترونيات وزميل الدراسة، الذي ترك الإعلام وتفرغ لشركته الصغيرة جدا الخاصة بالإلكترونيات على أمل أن يعيد ما عليها من صور.

أفاقت وردة من غيبوبتها.. بكت عندما علمت أنها ما زالت على قيد الحياة.. لم ترغب في رؤية أحد حتى شقيقتها ليلى، التي بالتأكيد قرأت رسالتها أغمضت عينها وكأنها تهرب منها.. كنت في الطريق إلى بيتي، عندما وردني منه اتصال كان صميدة يخبرني أنه علينا أن نبلغ العقيد أبو الدهب، بما يجري تفصيليا وفجأة صرخ عبد الوهاب وانقطع الخط.. لم أفهم ماذا حدث.. عاودت الاتصال به أكثر من مرة إلا أن خطه قد أغلق!

***

الحلقة الخامسة عشرة

أوقفت تاكســـي وأمرته بالانصراف بعد تذكر تعليمـــات أبو الدهـــب، بركوب المواصـــلات العامة الأكثر أمانا.. كان سائق النقل الجماعي يقف في محطات كثيرة.. كاد يصيبني بجلطة فقلقي كان قد بدأ يدمر أعصابي؛ لذا مع اقترابه، من شارع سكن عبـــد الوهاب نزلت وجريت أتفقد الأمر فعبد الوهاب بالنســـبة لي أخ كبير لم تلده أمي!

***

قبل ذلك بدقائق.. انقبض قلبها.. وضعت يدها على صدرها وقطبـــت جبينها.. قلبهـــا يحدثها أن مكروها قد حدث.. سمعت صوت الجلبة.. لم تنتظر لترى ما يحدث أو تستفســـر.. ارتدت حجابها وقفزت على السلم رغم ســـنواتها الخمس والستين.. قلبها

كان يحدثها بأن مكروها أصاب ولدها الذي عوضتها به السماء مستجيبة لدعواتها.. اندست بين الناس.. رأته غارقًـــا في الدم.. صرخت: واقفـــين تتفرجوا.. إسعاف يا عالم.. حد ينقله المستشفي.. دموعها أغرقت وجهها.. تذكرت يوم وفاة عز الرجال ابنها كأن المشهد يعيد نفسه ولكن بشكل أقسى.. همست في أذنه، رغم فقدانه للوعي: اثبت يا قلب أمك.. حالا اهه.. من حظ عبد الوهاب الطيب وجود (محسن السيد) طبيب الجراحة الشهير والذي بدأ في عمل إسعافات أولية له واصطحبه إلى المستشفى الخاصة به ليحاولوا إنقاذه.

***

قبلت ليلى يدها في حنان.. فتحت عينيها التي كانت تملؤهما الدموع.. وضعت رأسها على صدرها ومسحت على شـــعرها قالت لها ولأول مرة منذ وفاة أمها وهي

تتلعثم في الحـــروف: أنا بحبك أوي.. أنا مليش غـــيرك.. بكت وردة وهي تحتضنهـــا وقالت: يا ريتني كنت انتحرت من زمان عشان أسمع الكلمة دي.. أنا كنت فاكراكـــي بتكرهيني.. قبلت جبينها ونظرت إلى عينهـــا وقالت: محدش بيكره امه يا وردة!

***

وصلت إلى الشـــارع الذي به عقـــار عبد الوهاب.. كان النـــاس يتحدثون عن الصحفي الشـــاب الذي ترصـــده مجهول وطعنه.. علمت أنهم يقصدون رفيق كفاحي.. وصلت إلى عقـــاره وقلبي يكاد أن يتوقف، رأيت دمـــه المتناثر في أرضية مدخل عقاره وعلمت أنه في مستشفي دكتور حسن السيد.. هرولت إلى هناك فلم يكن بيني وبينها ســـوى خمس شـــوارع.. كانت تجلس منحنيـــة الرأس لا يكف لســـانها عن الدعاء له.. جلســـت بجوارها ونظرت إليها ودون أيةِ كلمة أخذتني في حضنها الدافئ.. كأني أسمع قلبها يدعو لـــه.. آه يا عبد الوهاب.. لا تمت يا رفيقي فينتظرك الكثير من الحنان الـــذي حرمك منه اليتم.. كان خبر طعن عبد الوهاب قد ملأ برامج التلفاز.. حضر والدي ووالدتي وشقيقي فهم يعتبرونه ابنهم الثالث..

كنت أنـــوي المغـــادرة معهم للعـــودة في الصباح الباكر.. على ســـلم المستشـــفى قابلته.. كان بين رجالـــه.. حضر بنفســـه للتحقيـــق في قضية عبد الوهـــاب.. نظرت له وقلت: أهـــلا يا مختار بيه.. إيه اللي منزلك بنفسك في قضية زي دي؟.. عادي يعني ممكن أي حد من الظباط يعملها.. اقترب مني وقال:

فريدة يا علم الدين.. بطلي تستفزيني.. ابتسمت في سخرية وقلت له: انت ليه مش عاوز تعترف أن اللي بيحصل مش طبيعي وليه علاقة بقضية شفيق.. خايف تخسر الرهان.. نظر لي وقال: انا مبخسرش رهان أبدا.. تخطاني عدة خطوات قبل أن يوقفه ندائي له: مختار بيه.. جه اللي هيخسرك رهان والحقيقة إن كلينا يشبه الآخر كثيرا فكل منا يملك من العناد والتحيز لرأيه لدرجة الاستفزاز.

كانت تسقيها الشوربة بكل حنان.. تنظر لها وكأنها في حلم فأخيرًا شقيقتها ومن لها في الدنيا، تتعامل معها بقدر من الرقة.. صوتها وحكايتها لا تتوقف بعدما كانت تجلس في حجرتها ولا تحدثها بأية كلمة سوى: صباح الخير. لم تشأ ليلى أن تفاتحها في أي شيء حول رسالتها حتى لا تضايقها، إلا أنها سألتها إن كانت سلمتني الميموري كارد، فأومأت برأسها إيجابًا فابتسمت فقالت لها: إنهم فوجئوا به ممسوح اللقطات.. خبطت على صدرها وقالت: يا لهوي.. ازاي؟.. هدأتها ووضحت لها أن تلك الأشياء تحدث وأننا أرسلناه لمن يصلحه قبل أن تكمل حديثها دخلت الممرضة فبادرتها ليلى قولي

للدكتور: إني جاية ادفع الدفعة الأولى من الحساب حالا... نظرت إلى وردة لتخبرها عن المكان الذي تخبئ فيها أموال الطوارئ في الشقة، لتذهب وتحضرها إلى أن تتمكن من الذهاب للبنك لسحب باقي المبلغ لسداد حساب المستشفى..

وقبل أن تنطق قالت لها الممرضة: حساب إيه يا آنسه.. الاستاذ اللي معاكو دفعوا امبارح.. نظرت لها وردة التي عادت لطبعها: نعم ياختي.. استاذ مين يادلعدي.. دخل الأقرع.. كان خجلًا ينكس رأسة.. قالت له ليلى: اتفضل يا أستاذ شيبه.. قبل أن يرد عليها قبضت على يدها وردة لتجلسها عنوة عنها، في عنف وقالت: يتفضل فين يا بت.. انتي اتهبلتي.. امشي ياد يا سوابق اطلع من هنا.. متبقاش إلا المشبوهين إلا هيدفعو لنا.. فلوسك هتجيلك عالجزمة.. غور من هنا.. خرج الأقرع مسرعًا.. حررت ليلى يدها من وردة وهي تلومها وأسرعت للحاق به فيما ظلت هي مندهشة فمن كانت تحرضها عليه باتت أكثر حنانًا وكل شيء انقلب رأسًا على عقب.

***

وصلت إلى مكتبي.. دخلت نبيلة الأسيوطي وهي ترمي بكلامها: إيه يا أستاذ رياض.. عمالين تكتبوا وانتظرونا في حلقات قادمة.. الحلقات راحت فين؟.. لم أرد عليها فقد كانت همومي أكبر بكثير من الانشغال بتفاهاتها.. دخل عم ابراهيم وقال لي: في ست بركة عايزاكي أدخلها؟.. أومأت له برأسي بالنفي فلا أرغب أن أقابل أي شخص.. أريد أن أمكث بمفردي.. أمرته بالذهاب بها لأي زميل آخر يسمع لقصتها أو سبب مجيئها.. دقائق وسمعت جلبة.. فتحت باب مكتبي وقالت: ده انا يا فريدة.. عندما رأيتها هوى قلبي في قدمي. صرخت: عبد الوهاب جراله حاجة؟.. قالت وهي تقترب مني لتهدئني: عبد الوهاب زي الفل.. معقول هسيبه إلا لما اطمن عليه.. أنا جيالك في كلمتين وراجعة على طول..

أشرتُ لعم ابراهيم بالانصراف وجلست: خير يا حاجة هنية.. محتاجين فلوس؟.. قالت في حزم: فلوس إيه عبد الوهاب مكفي بيته.. أنا جاية أشهد بالحق.. اكتبي شهادتي وانشريها عشان أبرأ ذمتي قدام ربنا.. نظرت لها في دهشة وسألتها: اشمعني دلوقتي؟.. قالت: أنا خايفة على عبده أوي.. هما

كانوا يقصدوني انا.. كانوا عاوزين يموتوه عشـــان هو اللي حماني بعد ربنا.. انتي لو نشـــرتي شهادتي مـــش هيعرفوا يقربو لي ولا يقربـــو له وخصوصًا لما أحكـــي اللي حصل أول امبارح الفجر.. وكمان لأني ندرت لو ربنا خلهولي هشهد بالحق.. ابتسمت لها.. جهزت الكاميرا الخاصة بي للتوثيق صوت وصورة وما أن رحلت إلى المستشـــفى، شـــرعت في كتابة الحلقة الجديدة الـــتي أنهيتها بعبـــارة: وانتظرونا في حلقة أخرى!

***

نظرت ليلى لوردة التي جاءت بعد اللحاق بالأقرع، وحكت لها -قبل أن تنفعل- عن شهامته معها وأنه لم يغادر باب غرفتها منذ أن نقلها، فسمحت له بالدخول قالـــت له: متآخذنيـــش ياخويا.. والنـــبي ما اعرف حاجة.. حقك عليه انا.. أصل انت ســـكتك كلها غلط.. ربنا يتوب عليك يا سي شيبة يا رب.. تلعثم في حروفه، ولم ينطق بكلمة بل خرج مسرعًا في عينيه دموع الفرح وهو يردد: ســـي شيبة.. التي قالتها فيما ضحكت وردة وليلى التي انتهزتها فرصة، ووســـألتها: هو مصطفي عارف إنك امه؟..

ضاعت ابتســـامتها مـــن وجهها وأومأت برأســـها نافية.. اقتربـــت منها ليلى: إنتي مبتشـــوفهوش؟.. تنهدت وقالت: لا طبعا بشوفه بس من بعيد.. بسيب لـــه مصاريفه وهدومه ولعبه، وبشـــاور لـــه من بعيد وامشـــي.. هو فاكرنـــي واحدة من اللي بيحســـنوا إليهـــم.. نظرت لها وقالـــت: هتروحي لفريدة؟

***

الحلقة السادسة عشرة

صباح اليوم التالي ومع صدور العدد بشهادة أخرى، تؤكد صدق أصحاب البـــدل الحمراء زادت تعليقات النـــاس وتفاعلها علـــى مواقع التواصل.. الشـــهادة الثانية بتفاصيلهـــا الجديدة التي طالت محاولة قتل عبد الوهاب واتهام هنية الصريح للأسيوطي، كانت قنبلة من العيار الثقيل وكانت كفيلة بقلب القضية إلى قضية رأي عام.

بدأ اسمي ينتشـــر أكثر.. ففي المواصلات كنت أسمعهـــم يتحدثون عـــن فريدة علـــم الدين.. عن تلك الصحفية الشـــابة التي باتـــوا يختلقون حولها الحكايات، التي تدل كلها على أنها مسنودة لكي تقف في وجة التيار هكذا.. في الأمن العام أمســـك بالعدد بعد اتصالات انهالت عليهم من الوزارة، بسرعة تقديم

تقاريرهم وإثبات أن واقعة عبـــد الوهاب صميدة لها علاقة بقضية شفيق من عدمه..

شـــعر بالغيظ وقبل أن يلقي بالنسخة.. نظر إلى صورتي قال لها مخاطبًا: أعمل فيكي ايه؟.. أمســـك بهاتفه، وأبلغ (الرائد كريم) أن يحدثني محددًا موعد يجمعني به اليوم.. على الفور اتصل بي ضابطه، وما أن أخبرنـــي حتى قلت له دون تفكـــير: مش جاية إلا إذا العقيد مختار بنفســـه كلمني.. هو راهني امبارح وانا شايفاه بادئ يخســـر رهانه يبقى عالأقل بما أني خصمه، يحترم مجهودي. يتلعثم كريم وقال: آنســـة فريدة انا مقدرش أقول له كده.. حضرتك... قبل أن يكمل حديثه قلت لـــه في لطف لأنهي المكالمة: دي مشـــكلتك يا سيادة الرائد مش مشكلتي بس انا مش جاية.

***

ذهبت لعبـــد الوهاب.. أخيرًا أفاق من غيبوبته.. أشـــار لي بعلامة النصر مـــن خلف زجـــاج العناية المركزة يشـــجعني وليشـــعرني بعدم تأنيب الضمير، فبســـببي وإن كان بشكل غير مباشـــر يرقد هكذا.. اتصال وارد.. رقمًا خاصًـــا.. رددت عليه.. كان هو

صوت رفعت الأسيوطي قال لي في غلظة: وحياة أمك لهوريكي.. مش بت مفعوصة زيك اللي هتهد رفعت الأســـيوطي.. بدل مش عاوزة تتلمي انا هعرف ألمك ازاي.. لم يعطـــني أي فرصة للرد عليه..

رن الهاتف مرة أخرى فنظرت بسرعة للشاشة على أمل أن يكون هو إلا أنني وجدتها ليلى.. كانت سعيدة بالحلقة الثانية ووجود شـــهادة أخـــرى تثبت صدق روايتها، واطمأنت على عبد الوهاب وسألتها عن وردة ومقدرتها للحديث معـــي الآن فقالت لي: إنها مهيأة لذلـــك تمامًا.. لم أفكر كثيرًا فذهبت إليها.

***

تلعثم الرائد كريم وهو يدخل إليه.. وضع أمامه ورق البوستة وظل يلتفت يمنةً ويسرةً.. نظر له عدة مرات فقال له: ها يا دراعي اليمين اللي عاوز قطعه.. عملت إيه غلط؟ فقال في ســـرعة: تعليماتك يا باشا بنفذها بالحرف والله... ابتســـم وقال: أمال ما لك روشت أهلي معاك ليه؟

ابتلع ريقه وقال: لا مفيش يا فندم.. ســـأله أثناء خروجه بورق البوستة: ميعاد فريدة علم الدين الساعة

كام؟.. ارتبك وعاد إليه وقال: ما هو ده يا فندم اللي كنت عاوز أقوله لحضرتـــك.. أصلها.. أصلها... قاطعه في حزم: أصلها ايه.. بتهته ليه؟ فقال بصوت منخفض: بتقول مش جاية يا باشـــا. قام من مكانه وقال بصوت مرتفع: ارفع لي صوتك يا كريم بيه.. بتقول قالت ايه؟.. قال بصوت مرتبك: لازم سيادتك تتصل احترامًا لمجهودها.. استشاط مختار أبو الدهب غضبًا وصرخ فيه: هاتهالي من شعرها..

ارتبـــك كريم فقال: تعليمات يـــا فندم.. أوقفه عبـــد الحي بصوت غاضب: إيه يـــا كريم رايح فين؟ فقال له: رايح اجيبها من شـــعرها يا باشا.. نظر له وقال: هـــتروح تجيب صحفية من شـــعرها.. يا ابني هتجيبلي الضغط.. بفك معاك بكلمتين.. أقولك حاجـــة: روح اقعد على مكتبك..

انصرف الرائـــد كريم فيما أخـــذ هاتفة النقال وعند اسمي ظل يـــتردد في الضغط على زر الاتصال حتى حسم أمره.

***

ابتســـمت عندما رأتـــني.. أعطيتها باقـــة أزهار اشتيريتها لها.. قالت لي: أنا آسفة عشان الميموري... قاطعتها: لا ولا يهمك متتأســـفيش ده قدر.. قلت لهـــا: مصطفى مش عـــاوز حاجـــة اروح اجيبها له، عقبال ما تقومي بالســـلامه.. امتقع وجهها ونظرت إلى ليلـــى وكأنّهـــا لم تكن متوقعـــة منها، أن تحكي لي عن مصطفى.. فنكّســـت رأســـها وقالت بارتباك: أنا هبقى ابعتله.. أمســـكت بيدهـــا وقلت لها: كلنا بنغلط... شـــعرت أن عينيها التي رفعتها لترى صدق مشاعري ممتنة لي لمواســـتها.. بعيون دامعة: أبوس ايدك ده ســـر مينفعش يطلع لبرة.. قاطعتها وقلت لها: بدل الأســـيوطي عرف يبقى أكيد هيطلعه برة عشـــان كده لازم ناخد احتياطاتنا.. أنا بس عاوزة اسالك لما أخدتي الميموري ورحتي ليه، قالك إيه ولا إيه اللي حصل؟ عشـــان فيه حلقـــة مفقودة كده.. عادت بذاكرتهـــا إلى الوراء وقالـــت: دخلت مكتبه، وقلت له: اتفضل يا باشا دليل اهه أن الواد شطة قتل أمي ولوحده، عشان يطس إعدام مش مؤبد، ولا عشر سينين بحجة أن معاه تلاتة.. اعتقدت أنه سيفرح إلا أنـــه قام من مكانه، وأمســـك بذراعي في عنف وقال: معاكي نسخ تانية؟ فقلت له: لا يا باشا.. فصرخ في

وجهي: بتّ اتلمي وروحي ربي اختك وعيشـــي، وبدل مانتي شاغلة نفسك بشغلنا وحاشرة نفسك في اللي ملكيش فيه.. روحي شوفي هتخلصي من فضيحتك ازاي.. وقتها لملمت نفسي بالكاد ورجعت إلى شقتنا.. كذبت عليه وكنت قد نسخت منه نسخة وحفظتها، ولا أعلم لمَ فعلت ذلك ولكنها حكمة القدر.. سألتها: انتي طبعا مينفعش تشـــهدي بده؟.. قالت في لهفة: لا والنبي بلاش انـــا.. كفاية إني أقنعته انها عملت كده من ورايا وبهدلني..

نظرت لها ليلى وســـألناها: أقنعـــتي مين؟.. انتي رحـــتي للأســـيوطي؟.. تلعثمت في حروفهـــا وأومأت رأســـها بالإيجاب وقالت: كنت خايفة والله عليكي يا ليلى.. أضافت ليلى: وعلى نفسك وعلى مصطفى.. احنا لازم نفوق من كل ده ونواجه الحقيقة ونخلص من ابتزاز أي حد.. لم تنطق وردة بشـــيءٍ، وبات الأمل في الميموري، هو الأمل النهائي الذي ســـيجعل النائب العام يعيد فتح القضية.. رن جرس هاتفي.. ابتسمت عندمـــا رأيت اسمه العقيد أبـــو الدهب. لا أعلم لماذا كان قلـــبي ينبض كلما دق هاتفي.. عليّ الاعتراف أنه رغـــم كوننا (ناقر ونقير) إلا أنه يعجبني عقله..

رددتُ عليه بهدوء، يبدو أنه أثار غيظَه أكثر فقال لي: أهلًا يا أســـتاذة.. بعد إذنك، تيجي نقعد شوية في المكتب.. رددت عليه: ده اســـتدعاء؟.. لم يجبني.. شـــعرت أني زودتهـــا فقلت له مداعبـــة: طب عندك قهوة؟.. لم يجـــب وقال في حزم: مســـتنيكي كمان ساعة يا فريدة.. كنت أشعر أن الدنيا كلها تتحدث عن قصة شـــفيق، وأنه أصبح نجمًا، وأن العالم الذي جعله في طي النســـيان، أعاده لدائرة الاهتمام!

***

في السجن بات الأمل يزدادُ عند السجينين، بإثبات براءتهما أما الثالـــث فظل كئيبًا وحيدًا وبدأ يصاب بالهلاوس السمعية والبصرية، قبل حكم إعدامه.. لا أحد في الســـجون يعرف تحديدًا موعد إعدامه، إلّا في قضيتهما فقد كان لديهم من ســـرّب لهما موعدهم، لذا سارع شفيق بإرسال رســـالته.. علي كان خائفًا من لقاء عشـــماوي ولحظة الصعود على الطبلية.. كان في دنيا أخرى.. يرتعـــش وكأنه مصاب بمس شـــيطاني.. أما شفيق وحســـن فكانا أشد إيمانًا منه ومتفائلـــين بما يحـــدث، من تحـــركات خلقت من قضيتهما رأيًا عامًا!

أدخلني الرائد كريم إلى مكتب العقيد أبو الدهب لأنتظره.. وقفتُ أنظر إلى كل شـــهاداته وتكريماته، قبل أن يدخل فجأة وقال: عجباكي الشـــهادات؟.. فقلت له: حلو إن الإنسان يكون ناجح.. أشعل سيجارته وقـــال: انتي هتفضلي كل ١٠ أيـــام تنزلي لنا حلقة تقلب لنا البلد.. كل ده بدل مفيش دليل مادي، مش مؤثر أوي ولحد دلوقتي كلام النســـوان بتوعك، ما أقنعنيش أن شفيق واللي معاه مش متورطين...

استفزتني طريقته، فقلت له: الكثير من المعلومات رابطة، كلّ الأحـــداث وحدثته عن تهديده لي، وبعد حـــوارٍ جاد وغاضـــب رحلت تاركة مكتبـــه.. طوال الطريق كنت أفكر في النجار، هل سينجح في إصلاح الميموري، فضغوط القضية كلها لا تساوي شيئًا أمام ضغط أبي الدهب، وكأن الأمر حقا تحول إلى رهان!

***

في صباح اليوم التالي، ومع صدور العدد بشـــهادة أخرى، تؤكد صدق أصحاب البدل الحمراء، زاد تفاعل رواد مواقـــع التواصل.. الشـــهادة الثانية بتفاصيلها الجديدة التي طالت محاولة قتل عبد الوهاب، واتهام الست هنية الصريح للأسيوطي كانت قنبلة من العيار

الثقيل، وكانت كفيلة بقلب القضية إلى قضية رأي عـــام.. كنت أقرأ تعليقاتهم عن فريدة علم الدين.. عن تلك الصحفية الشابة التي باتوا يختلقون حولها الحكايات، التي تدل كلها على أنّها مسنودة لكي تقف في وجة التيار هكذا.

في الأمن العام أمســـك أبو الدهـــب بالعدد بعد اتصـــالات، انهالت عليهم من الوزارة بســـرعة تقديم تقاريرهم، تثبت أو تنفي أن واقعة عبد الوهاب صميدة لها علاقة بقضية شـــفيق.. شـــعر بالغيظ وقبل أن يلقي بالنســـخة.. نظر إلى صورتها قال لها مخاطبا: أعمل فيكي ايه؟.. أمسك بهاتفة وأبلغ الرائد كريم أن يحدثهـــا محددًا موعدًا يجمعها بـــه اليوم.. على الفـــور اتصل بي ضابطه، ومـــا أن أخبرني حتى قلت له دون تفكير: مش جاية إلا إذا العقيد مختار بنفسه كلمني.. هو راهني امبارح وانا شـــايفاه بادئ يخسر رهانه، يبقى عالأقل بما إني خصمه يحترم مجهودي.. يتلعثم كريم وقال: آنســـة فريدة انا مقدرش أقوله كـــده.. حضرتك... وقبل أن يكمل حديثه قلت له في لطف لأنهي المكالمة: دي مشكلتك يا سيادة الرائد مش مشكلتي بس انا مش جاية!

ذهبت لعبد الوهاب.. أخـــيرًا أفاق من غيبوبته.. أشـــار لي بعلامة النصر مـــن خلف زجـــاج العناية المركزة يشجعني وليزيح عني شعورًا بتأنيب الضمير؛ فبســـببي وإن كان بشكل غير مباشـــر يرقد هكذا.. اتصال وارد.. رقمًا خاصًا.. رددت عليه.. كان هو.. صوت رفعت الأسيوطي.. قال لي في غلظة: وحياتك لهوريكي.. مش بت مفعوصة زيك اللي هتهد رفعت الأســـيوطي.. بدل مش عاوزة تتلمي انا هعرف المك ازاي.. لم يعطني أي فرصة للـــرد عليه.. رن الهاتف مرة أخرى فنظرت بسرعة للشاشة على أمل أن يكون هو إلا أنني وجدتها ليلى..

كانت ســـعيدة بالحلقـــة الثانية فوجود شـــهادة أخرى تثبت صدق روايتها ســـيوصلها هي الأخرى إلى أهدافها.. ســـألتها عن وردة ومقدرتها للحديث معي الآن فقالـــت لي: إنها مهيـــأة لذلك تمامًا.. لم أفكر كثيرًا فذهبت إليها.

***

كنت أعلم أن مختار أبـــو الدهب لن يكون ذلك الضابـــط، الذي ســـيلتقط مني المعلومـــة ويتفاداها كأني لم أقل شيئًا، رغم أنه عادة ما يظهر اللا مبالاة

وأن معظم الأحاديث لديه مجرد رغي فاضي.. كنت أعلم أنه بمجرد خروجي من مكتبه، سيضع هاتفًا من هواتفه الكثيرة التي يزدحم بها سطح مكتبه، وتزحم مكالماتها وقته على أذنه، ويشرع في الحديث مكلفًا ذلك المصدر السري الذي نكتبه في عبارات بأخبار الجريمة، ويكتبونه في المحاضر ليكون بابًا واسعًا، إما لتأكيد الوقائع أو نفيها أو حتى تلفيقها..

لم أهتم حقا لفكرة إن كان مصدره أو ضابطه الذي يشرف عليه سيضلله، مثلمًا حدث مع مدير القطاع الذي انقلب فجأة ١٨٠ درجة.. كنت أعلم في النهاية أن الشجار الذي حدث منذ دقائق بيني وبينه، في قلب مكتبة وتعمدي إلقاء معلومات أمامه ستثير فضوله الميري.. ولمن لا يعلم فالفضول الميري الذي قد يقود إلى قضايا يمكنك أن تترقى بسببها أدهي وأمرّ من فضول الصحفيين.

كنتُ على يقين أن الموقف سيضعه على أول الطريق الذي أردت له أن يراه بعدما أُزيل من على عينيه غمامة أن (كله تمام يا فندم) وأن ده رغي صحفيين وعالم فاضية ومتفزلكة وان احنا ظباطك يا باشا وانت عارف الليلة!

العبارات المشهورة التي يقولها الضباط الصغار، أو حتى الكبار للرتب العملاقة بـ(لكنة السوابق) عندما يريدون تمرير واقعة بعينها، بهدوء سخيف أو ظالم للطرف الأضعف ليظهروا ثقة كاذبة، فيما يقولون وليظهروا هم أنفسهم بطريقة من يفهم كل شيء!

***

لم أهتم أن ينصاع العقيد أبو الدهب لمصادره؛ ففي النهاية أثق في قدراته الخاصة التي لن ترحمه إلا بمعرفة حقيقة الأمر.. أثق في نزاهته أنه لن يترك الأسيوطي لحال سبيله، سواء أكان متعاونا أم مشاركا فيه فيما بعد.

يد ثقيلة تطرق شقة وردة، بحثًا عن ليلى أول الخيوط المتشابكة للقضية.. أعلن موعد قدوم عزرائيل لقبض أرواح أصحابها.. كان يقف بجسده العملاق وينظر في دهشة فآخر من يتوقع أن يفتح له وجده أمامه.. كانت أنا.

من داخلي شعرت بالغبطة، ولم أستطع أن أُخفي ابتسامة انتصار على وجهي ففي النهاية ربحت الرهان.. هو هنا ممسك بأول خيوط اللعبة يكاد

يقص أثري ليمضي بنفس الطريقة.. تلعثمت ليلى عندما رأته.. اقتربت من أذني وقالت في صوت خافت: ده ظابـــط.. إيه اللي جايبه هنا؟

بدأ بيني وبين أبي الدهب حـــوار يدل على طبيعة علاقتنا القريبة!

- انتي بتهببي هنا ايه؟

- بغض النظر عن الطريقة اللي بتتكلم بيها، واني مش عســـكري عندك، انا كنت متأكدة أنه مسافة السكة وهتيجي تشوف الهباب بنفسك.

ابتســـم ابتســـامة لم أفهم معناها وهو ينظر إلى بعينيـــه.. آه مـــن عيني مختار أبي الدهـــب.. أحيانًا تشـــعرك بحنان العالم، وأن أي امرأة تريد أن تعشـــق أمـــيرا لن يكـــون إلا هو، رغم عدم وســـامته وأن بين جفنيها الجنة، وأحايين كثيرة ترى فيهما قسوة المردة الجباريـــن وأنه لا أمل لك مـــن الخروج من جهنم.

خضعت لأوامـــر نظرتـــه، بإنهاء حالـــة الصراع والمشـــاحنة، وأن طبول الحرب بيننـــا على قارعيها أن يتوقفوا ولو قليلًا، فبيننا هدنة ربما سيعلنها.. بعدها ســـيتحول إلى حليف أو عدو بجهالة.

قهوة ســـادة ليه، ومظبوط للباشا.. قلتها لليلى التي وقفت متســـمرة الأطراف ففـــي بيتها ضابط لا تعرف هويته، ولا تعي ســـبب مجيئـــه... نظرت إليه في غرور وســـألته: مش مظبوط برده يا باشا.. كنت أتوقع منه أن يعترض متحدثًـــا بطريقته المتجاهلة، التي لا تعجبني كثـــيرا، رغم أنني بت أقلدها في أمور عملي، ففي ظاهري كنت أكره ذلك الكائن الواقف أمامي وفي داخلي كنت أعشـــق تفاصيل شخصيته!

***

قال في حماســـة: آه مظبـــوط.. ده انتي متابعاني بقه.. شـــعرت بالاضطراب قليلًا فلم أتوقع رده، فقال وهو يضحـــك: اتلخبطتي ليه كده؟.. هو انا أطول حد زيك يا أســـتاذة تاخد بالها بشرب قهوة سادة ولا سكر زيادة.

كانت ليلـــى تنظر للحوار بيننـــا في ترقب بالغ، وكأنها تشـــاهد مشـــهد من أفلام السينما.. كنت أعلم أنه يريد اســـتفزازي لا أكثر ولا أقل.. أعترف أنه رغـــم خجلي فلماضتي التي يحبهـــا الكثيرون، لا يحبها قليلون مثل أبي الدهب، فرددت عليه: آه وعشان كده جيـــت ورايا لحد هنا.

انقلبت نظرة الجنة إلى جهنم الحمراء، إلا أنه قرر الالتزام بالهدنة، فلم يتوقع مني ردًا كهذا.. كان يعتقد أنني سأستلم لطريقته.. شعرت بالانتصار للمرة الثانية وقد تأكدت أنه أيقن أن نده الجديد ليس ضعيفًا.. ترى يا أبو الدهب هل ستصبح عدوًا أو حليفًا؟

***

أدلى عبد الوهاب بأوصاف من حاول قتله لضباط البحث.. أما أبو الدهب فجلس يستمع لشهادة ليلى ويناقشها فيها عدة مرات، حتى اقتنع تمامًا بأنها لاتختلق شيئًا.. كنت أرى في عينيه نظرة غضب وحيرة، وربما عتاب على زميل المير الذي وضع الوزارة كلها في هذا المأزق.. أنهى حديثه مع ليلى الذي لم تتطرق فيه إلى مقطع الفيديو والتزمت بما اتفقنا عليه.. قال لي وهو يلتقط مفاتيحه: نازلة ولا قاعدة؟..

ابتسمت ورددت بلماضة: ليه.. حد هيعزمني على توصيلة بدل شعلقة الميكروباصات.. ابتسم وقال: بطلي لماضة يا فريدة، هاتي شنطتك وتعالي.. قلبت ملامحي نحو الجدية وقلت له: لا خلاص روح

انت يا باشـــا انا قاعده.. التفت وعلى ملامحه غيظ واضح: ده هزار ولا لماضه.. جلســـت على الكرســـي وقلت له: منا مش هركب معاك البوكس.. الناس تقول إيـــه: قابض على فريدة علم الدين؟.. ضحك ضحكة ســـخرية وقال: هي مين فريدة علم الدين.. ومين قالك إنه بوكس.. يا بنتي اعقلي شوية.. دي عربيتي الشـــخصية يللا عشان عندي شغل..

التفـــت ليمضـــي في طريقه فقلت لـــه: يا لهوي أركب معـــاك عربيتك.. عاوزهم يقولوا إيه: مختار أبو الدهب، الأستاذة فريدة علم الدين كانت راكبة معاه.. التفت في غضب: مختـــار أبو الدهب من غير عقيـــد ولا بيه؟.. والأســـتاذة فريدة علـــم الدين.. أضرب نفســـي طلقة وارتاح.. بقولك إيه: معاكي فكة؟.. فأومأت برأســـي بالإيجـــاب فقال: طب بصي أول الناصية الميكروباص عندك.. أنا غلطان.. أخذت حقيبـــتي وجريت خلفه على الســـلم، وقفت عند باب السيارة..

فتح النافذة وقال: ها عاوزة ايه؟.. ملقتيش فكة.. أسلفك؟... نظرت له مبتســـمة: لا معيش.. وبدل ما تسلفني وارجع اردهلك لحضرتك انا بقول تفتح

لي.. ابتسم وقال: وبالنسبة للنكرة أبو الدهب اللي هيقولوا: فريدة علم الدين راكبة معاه ليه.. ضحكت ورددت عليه: المهم يقولوا: إن مش هي اللي معجبة بيك.. تلاقت عينانا.. تلعثم قليلا، وفتح الباب وقال في عنف مضحك: اتهببي خشي بقا فرجتي علينا الشارع.. وربنا كنت هصدقك.. ضحكت لأجاريه الدعابة. إعجابي به وبطريقته، وكل شيء جعله مثلي الأعلى، ورجل في مجتمع مليء بأشباه الرجال والتافهين.

دق شيبة الأقرع باب حجرتها برفق.. كان ممسكا بأزهار الورد البلدي التي أوصى صديقا له أن يحضرها.. صفف شعره ووضع عليه الجلّ لأول مرة في حياته... كان ينظر في الأرض.. لم ينظر إليها وهو يعطيها أزهاره.. نظرت له وضحكت وقالت: يخيبك أي اللي انت حطه في شعرك ده؟.. وجايب ورد زي الناس الالفرنجا.. شعر بالحرج وكسر الخاطر.. اعتقد أنها تسخر منه فالتفت إلى الباب ليخرج.. شعرت وردة بأن مزحتها جرحته وأنها لم تكن ملائمة لحالته.. فقالت له: يقطعني يا أقرع.. والنبي بهزر معاك.. ده انا حتى بحب الورد اوي..

أصابت كلماتها نبضات قلبه، فمنها كان يرضى بأي كلمة حتى ولو كانت تجرحه.. عاد للكرسي الموضوع بجوارها وقال لها في لهفة: بعد الشر عليكي من القطيعة.. احنا منقدرش نعيش من غير نفسك يا ست البنات.. نظرت له في دهشة فقال: أقعد؟.. ابتسمت وأشارت له بالجلوس.. ظل مبتسمًا ينظر لها لعشر دقائق دون كلمة.. قالت له: إيه يا أقرع انت طالب الإذن عشان تقعد ساكت؟.. دمعت عيناه وارتجفت شفتاه، وقال: ده حلم عمري يا ستي وتاج راسي.. حلم فضلت احلم بيه، من ساعة ما وعيت على الدنيا.. من يوم ما شفتك بضفاير طويلة بتلعبي قدام مدبغة أمك.. قلت في عقلي: آاااه يا واد يا شيبة.. البت الحلوة دي ما لها شغلاك ليه؟.. بدري عليك الهوى.. وانت فين وهي فين؟.. كنت عاوز أكبر وأبقى معلم كبير أوي عشان أليق بيكي، لكن كبرنا والحب اللي جوايا ليكي بقا عشق بيعذبني بيكويني كل ليلة.. وانتي ولا في بالك.. ست ستات الزاوية.. لا ست ستات مصر كلها وقع في غرامها كل شباب المنطقة.. كنت عاذرهم بس محدش فيهم حبك قدي حتى شطة.. كنت بموت كل ليلة من بعد ما اتخطبتي له.. فكرت أقتله بس عارفة

إيه اللي وقفني.. خفت عليكـــي اوي.. خفت تزعلي أو دموع عنيكي تنزل.. قلت اتحرق انا مش مشـــكلة وصـــبرت.. لكن ربنا أراد يحافظ عليكي ومتتجوزيش الواد الشيطان ده.. مكنش يستاهلك.. كنت بقبل منك تهزيئك ليه في الرايحة والجاية، اقول تهزأني أحسن مسمعش صوتها خالص..

اليوم اللي صرخت فيه ســـت ليلى، عشان ننجدك ولقيتك غرقانة في دمك.. كنت عامل زي المجنون.. كنت هموت وعشمت في رب كريم ينجيكي.. بعد ده كله قاعد جنبك يفرق بيني وبينك مسافة بسيطة.. وفي الآخر عاوزاني اتكلم.. كفاياني كدة.. ده كده كتير عليه كمان.

ازدادت دهشـــتها ففـــي داخلها كانـــت تعرف أنه يحبها ولكن ليس بهذا القدر.. أصابها حديثه بحالة لا تـــوازن.. تذكرت كيف كانـــت تهينه من أجل شـــطة.. تذكرت شطة نفســـه وما فعله بها ونظرت إليه تسأل نفســـها في سرها: يا ترى يا أقرع لو عرفت اللي عمله معايا شطة هتسامحني؟.. هتفضل تحبني وانـــا عندي عيل في الحرام، مش عارفة أطلع له حتى شهادة ميلاد؟.. أفاقها سؤالها المرعب من حالة الشرود

فقالت له في عنف: الزيارة خصلت ياأاقرع ومتشـــكرة ع الورد.. تلعثم في كلامه، وقال لها: في إيه يا ســـت البنات كلامي دايقك؟.. انا هقعد جنبك وهسكت والله.

ردت بغضب: عملـــت الواجب وخلصنا.. دي مش أصول دي.. انا عاوزة ارتاح.. اســـتجاب لها وقال: انا طالع اهه بس والنبي ما تدايقي نفســـك انتي لسّـــه عيانه.. كان كل ما يجول في خاطرها: هل يستمر حبه إن عرف ســـرها؟ أما هو فالسؤال كان معكوسًا: هل بدأ قلبها يشعر به؟

***

نظر لي بعد أن أجبره احمرار الإشارة على أن يوقف الســـيارة.. كنت مشغولة في متابعة مواقع التواصل التي باتت لا سيرة لها، سوى قضية محمود شفيق، قال لي: قوليلي يا فريدة انتي بتحبي شـــغلك؟.. دخلتيه عن اقتناع يعني ولا زي كتير فرصة وجت وأحسن ما أقعد في البيت؟

- عيب عليك ده انت وحش المباحث.. لو مكنتش بحبه، وكنت مخططة مســـتقبلي إني ابقي صحفية

مكنتش... قاطعني وقال في سخرية: مكنتش بقيت الأستاذة فريدة علم الدين.. عرفت يا ستي إن مصر كلها بتتكلم عن إنجازاتك الصحفية اللي قرفانا و... قاطعته: لا مكنتش زماني قاعدة معاك هنا.. في عربيتك.. وبتكلم معاك.. وسمعت كلامي وجيت تشوف اللي بقول عليه، وانت العقيد أبو الدهب الظابط الأسطورة اللي كنت بسمع عنه طول عمري وتمنيت بس اقعد معاه عشان اشوف بيفكر ازاي..

ابتسم وقال في مرح: الله ده انا بقيت العقيد أبو الدهب اهه.. وبعدين انتي بتعاكسيني ولا حاجة يا استاذة ولا ايه؟.. لا بقولك إيه حاسبي عشان انا متكلمين عليا.. ده انا عندي طوابير تسد عين الشمس.. نظرت له في استياء: أنا هعاكسك ليه أصلا.. أنا معجبة بيك كظابط.. هو انت أصلا تتحب.. ده انت عاوز واحدة تستحمل عيوبك.. طوابير إيه دي اللي... قاطعني في هدوء: بس بس بس كل ده.. ما كنا بنجامل وماشيين كويس.. انتي كده على طول دبش؟.. ايش حال ما كنت بهزر.. انتي عاوزة حد يبقي راجل يفقعك على وشك الحلو اللي عامل زي الطبق ده ألم يفوّقك..

نظرت له في خنق فقلت له: يللا بينا.. هز رأسه بعدم الفهم وقال: يللا بينا ايه؟.. لا ما تستفزنيش انا راجل واعملها ومش هتنفعك اللماضة.. قطبت جبيني وقلت له في انفعال: هو انت تقدر تمد ايدك عليا؟.. أنا بقول: يللا بينا.. امشي، الإشارة خضرا بقالها دقيقة وانت عمال ترغي، ما فصلتش والعربيات عمالة تزمر لك وتشتمك.. نظر حوله وأشار في فكاهة للسيارات التي بجواره، الذي بات قائدها يعنفه بشدة ففتح نافذته، وقال: معلش يا رجوله أنا آسف.. المدام بس منكدة عليه عيشتي وبتاع.. انت عارف بقا الله يحرق الجواز وسنينه.. رد عليه في تعاطف: بالغ عذرك يا بيه والله.. لا تحايلني ولا احايلك النكد طايلني وطايلك.. أغلق النافذة وظل يضحك مرددًا: شعب ملوش حل.. ملناش كتالوج!

***

أوصلني عبد الحي إلى عبد الوهاب ورحل.. صعدت لأطمئن على زميلي.. كل شيء كان على ما يُرام في وجود الست هنية.. كان قد خرج من العناية ووضعوه في غرفة عادية.. ظللنا نحكي عن ظروف وملابسات القضية، قبل أن يأتيني اتصال من مصطفي النجار

عبقري الكمبيوتر، ليخبرني بما وصل إليه، وأن هناك أملًا في الشريحة الذكية بان تستعيد كل شيء صوّر عليها، إلا أن فتحي البقال الموجود أسفل عقاره أخبره بأن هناك شخصًا غريبًا، يشبه المخبرين يسأل عنه وعن تفاصيل كثيرة عن حياته منذ أن جئت إليه.. مكالمة النجار قبضت قلبي فطلبت منه الحرص!

أدركت وقتها أن رفعت الأسيوطي لا يراقب تحركاتي فقط، بل يراقب أنفاسي.

وصلت ليلى إلى وردة حاملة لها بعض الأغذية والحلوي التي تحبها، بعد انتهاء محاضراتها.. وردة قضت ساعاتها تفكر في كلام الأقرع الذي أصاب قلبها.. بورودة التي حلت أيامها.. وقع بصر ليلى على الأزهار التي وضعتها بجوارها على المخدة وقالت: أي ده.. هو في حد جه زارك ولا ايه؟.. ما أكيد مش استاذة فريدة دي كانت معايا لحد من شوية في الشقة... خبطت على صدرها وقالت: يا لهوي إيه اللي وداكي الشقة.. انا مش قلت مترحيش لوحدك هناك.. وهي استاذة فريدة راجل ده انتو جوز بسكويت اللي ينفخ فيكو يطيركو.. اقتربت منها وداعبتها: أي ده أي ده... لعلمك فريدة دي بت بمليون راجل، وانا

ناقصلي شنب وأبقى أجدع من الأقرع.. احنا بسكويت بيكسر الســـنان.. ضحكت وردة وقالت في حزن: برده مش عاوزاكي تروحي تانـــي لوحدك.. قالت لها في ثقـــة: لا هروح.. مبقناش لوحدنا.. اصلا احنا رحنا وجالنـــا ظابط كبير، ولما اقتنع بكلامي وعرف باللي كانوا عاوزين يعملوه فيه، سابلي أمين شرطة ع الباب عشان فريدة مشـــيت معاه، وقاله يوصلني لحد هنا.. أصاب وردة قلق ما.. فاســـتوضحت عن ســـبب وجود الضابط مرة أخرى ففي داخلها كانت تخاف من أن يفتضح أمرها!

أصاب الجنون تفكيري.. شـــيء ما قبض قلبي.. عبد الوهاب نفســـه بات مضطربًا فـــإن حاولوا قتله، فلن يتورعوا عن أذية النجار.. كان لا بد أن نرســـل شـــخصًا غير معلوم للأســـيوطي، ورجاله ليصل إلى النجار ويأخذ منه الشـــريحة ويحذره.. ظللنا نفكر ســـويًا حتى وقع اختيارنا على (عم ابراهيم) واتفقنا في صباح اليوم التالـــي، أن يذهب إلى مصطفى، فهو لا يعرف الكثير من التفاصيل ومصدر ثقة بالنســـبة لنا..

***

كنت أستعد للرحيل فدلف أبو الدهب ومن خلفه رجاله.. منظره الجدي أصاب لماضتي بالخرس وحب الفضول الصحفي أجبرني على الوقوف لأرى سبب قدومهم.. ذهبت الست هنية لتحضر لهم أكواب العصير من بوفيه المستشفى.. فتح أحد الضباط دوسيهًا جلديًا به صورة مرسومة ناولها لأبي الدهب، الذي ناولها بدوره لعبد الوهاب الذي ما إن رآها حتى صرخ: ايوا يا فندم هو ده.. قفزت بعيني إلى الصورة فصرخت: ايوا ايوا هو.. هو.. فنظر لي أبو الدهب: هو إيه يا استاذة فريدة.. انتي كنتي موجودة ساعة الحادثة فقلت له: لا يا فندم بس اعتبرها لماضة مني، فقاطعني في حزم: امال بتكلمي ليه؟.. انتي اساسًا المفروض متقفيش هنا لأنك صحفية فمن فضلك تستنينا بره.. امتقع وجهي من أسلوبه.. مختار أبو الدهب مثلما يقولون مبيعرفش حد في شغله!

أشار لي عبد الوهاب بالخروج.. كان من الممكن أن أخبر أبا الدهب، عن سبب صرختي قبل أن يخرجني، إلا أنني عاقبته بالخروج لأنه قاطعني.. أخرجت هاتفي وأرسلت له رسالة على هاتفه ورحلت إلى بيتي.. انتهى من تحقيقه السريع مع عبد الوهاب والذي

قال له فيه: إن هذا الشـــخص يدعي (محمد الشيال، وشـــهرته ســـلطان) وهو أحد القتلة المأجورين الذين يبحث عنهم الأمن العام.. ركب ســـيارته.. وأخرج هاتفه للاتصال بأحد ضباطه لوضع أكمنة لضبط سلطان، فوجد رســـالتي فقال قبل أن يفتحها بشكل مرح: ياه يا فريـــدة على دلع البنات.. وقت عتاب بقا ومش مســـمحاك وبتاع.. ضغط عليها ليفتحها: يا مختار بيه ظابط المباحث الشاطر لازم يسمع اكتر ما بيتكلم.. وميقاطعش حد.. ربنا اداك ودنين ولســـان واحـــد.. الراجل اللي انت رسمتوه ده، هو هو ســـواق التاكســـي اللي كان عاوز يخطفـــني.. تصبح على خير يا سيادة اللواء...

فكر قليلًا في ربط الأحداث بعضها ببعض، قبل أن يعيد قراءة الرســـالة المســـتفزة ويتصل بي إلا أنني لم أرد.. ألقى بالهاتف على المقعد الذي بجواره في غضب مرح، وقال: مبترديش عليا.. ماااااشـــي.. وبتتريقي وكتبالي ســـيادة اللواء وبتديلي محاضرة في الأول.. لا ودة كله ومقموصالي كمان.. الشغلانة عيلت.. آاااه عيّلت والله!

***

أعطى له طبيب السجن عدة عقاقير مهدئة.. طارت الأنباء إلى زنزانة شفيق فطار معها عقله.. ظل يصرخ مناديًا على الحراسة الذين لم يعجبهم تصرفه، غير أنهم عذروا لهفته، على شقيقه، فمن ضمنهم كلهم كان هناك سجان واحد معروف بغلظته.. كان شفيق يشك بأنه ذلك الصوت الذي جاء لتهديده، مدسوسًا عليه من الأسيوطي قال له في غلظة: يا خويا عقلك طاير على اخوك تقولش هيعيش له ١٠٠ سنة، ايش حال مكنتوش انتو الجوز بدل حمرا اهي أي موتة والسلام.. رغم شعور شفيق بالغيظ منه، إلا أنه لم يرد عليه، وتجاهل النظر نحوه، واستمر في استعطاف الحرس لنقل طلبه برؤية شقيقه للمأمور.

في الزنزانة الأخرى، ظل علي يرجف فيما وقف (بسطاويسي) ينظر له في حسرة وقال: يا حسرة عليك يا ابني.. لو يعرفوا اللي بيقتلوا حالتك دي مكنوش قتلوا.. بسطاويسي كان شاويشًا طيبًا لا يصدق سوى الأحكام في حكمها على الأشخاص، فطوال سنوات خدمته لم ير شخصًا بريئًا رغم أنه كثيرًا ما يردد المثل القائل: ياما في الحبس مظاليم.

***

ابتهج عندما رآنا ندخل عليه.. دخل النجار بجلبته المعتـــادة واحتضنه بقوة، جعلته يتـــأوه مكان جرحه، فلم يجد ســـوى قرصة قوية من يد الست هنية تأمره بالابتعاد، وامتثال الأدب والابتعاد عن شغل الأراجوزات الذي لايعجبها.. وقع نظـــره عليها.. كانت واقفة خارج الغرفة في خجل.. نظر لي متسائلًا: من تكون؟ فقلت له: إنها ليلى. وطبعا عرفها على الفور، فكثيرًا ما كنت أحكي له عنها وعن شقيقتها وردة.. مد يده ليصافحها فصافحته في رقة..

اتفقنـــا علـــى أن ينتقل مصطفـــى، للعيش معه وهممنا بمغادرة المستشـــفى، فاستأذنت ليلى للذهاب إلى شـــقيقتها؛ لطمأنتها فأذنت لها إلا أنني فوجئت بعبد الوهـــاب يقول أمامنـــا: ليه يا آنســـة ليلي.. خليكي.. طمنيها بالتليفون انتي دلوقتي مننا وعلينا حتى ماما هنية عاملة عشـــا النهار ده، وعزماكو فيه بمناسبة خروجي.. نظرت له مبتسمة فعينا صديقي بدأت تلمع.. إنه الحب ومن يســـتطيع إخفاءه!..

لم أخبره بقصة شـــقيقتها، ولم أشأ أن أُنغّص عليه شعوره، فيما ربّتت الحاجة هنية على كتفها، وشدت خصلة من شـــعرها فجأة وقالت: لا طبيعي طبيعي..

ونظرت له: هو انت اتفقت معايا على عزومة العشـــا دي؟ فنظر لها مرتبكًا.. رحلت ليلى مع وعد بالقدوم بمفردها إلى العنوان الذي ستأخذه مني هاتفيًا.

***

صوت عذب ناداه من خلف ظهره: سي شيبة.. سي شـــيبه.. نظر خلفه.. لم يصدق أنها هي.. فســـألها في لهفة: اؤمري يا ســـت البنـــات ناقصك حاجة؟.. قالت له: هو انت رايـــح فين يا خويا؟.. صمت وقال: رايـــح للمعلم.. ما انتي عارفة اللي يكســـر له كلمة بيروح بكفنـــه.. خبطت يدها علـــى صدرها وقالت: يا لهوي.. وكل اللي راحـــوا له من رجالته بكفنهم قتلهم؟.. ابتســـم وقال: لا بس انا هرجع.. أنا دراعه اليمين وبعدين دول خانوه، انا يا دوبك كســـرت له كلمه.. وبعدين هي ســـت البنـــات خايفة عليه ولا ايـــه؟.. نظرت له وقالت في عصبية: يا أخويا احنا في إيـــه ولا في ايه.. انت رايح تمـــوت يا أقرع.. نظر لها في هيـــام وتركها وهو يقـــول: خايفة عليه.. أما هي فوقفت تنظر بدهشة، ليس له بل لنفسها.. هل نزلت تبحث عنه لأنه حمي شـــقيقتها، فأقل ما يجب فعله الوقوف إلى جواره، فبســـببهم هو في هذا الموقف.. أم

لأن قلبها دق.. دق تلك الدقة التي شعر بها منذ ١٠ سنوات عندما وقعت في حب شطة.

***

وافق مأمور السجن على أن يرى محمود شقيقه.. رآه في حالة لم يرها من قبل.. فطوال الثماني السنوات ورغم اكتئابه، لم يصل إلى تلك المرحلة.. بدا وجهة شاحبًا مصفرًا.. لم يكن يسمع منه سوى هلاوس تخص السجن والأسيوطي وعشماوي.. اقترب منه وقبل جبينه وطالبه بألا ينفد صبره وألا يدع الجنون يتحكم في عقله، وخرج بعد انتهاء مهلة زيارته.. في داخله شعر بانقباضه.. نار الانتقام بدأت تشتعل جذوتها في داخله من جديد!

وصلنا إلى عَشاء عبد الوهاب، الذي شعرنا أنا والست هنية أنه اختلقه.. طوال جلوسي معه وهو ينظر في ساعته.. الشغف يا صديقي سيقودك إلى جنون الحب لا محالة.. ظل يحكي ويسأل عن ليلى، وأنا أجيبه بكل هدوء حتى تأخرت عن موعدها ١٠ دقائق فقال لي في عصبية جديدة عليه: كلميها.. شوفيها فين.. رفضت بحجة أنها لم تتأخر كثيرًا.. ظللنا ننتظر لمدة نصف ساعة فقالت الست هنية: يللا

اتعشـــوا.. الغايب حجته معاه.. جايز مش جاية.. امتقـــع وجهه، ونظر لي متســـائلًا في عصبية، بينما اســـتفزته ابتســـامتي أكثر: هي ممكـــن متجيش.. فأضاف بنفاذ صبر: طب كلميها شوفيها فين.. قبل أن أمسك هاتفي لأحدثها، دق جرس الباب فأمسك بجرحه، وأســـرع ليفتح لها وقال لها في عصبية: انتي اتاخرتي ليـــه؟.. مش في ناس مســـتنياكي.. يعني نجوع.. نظرت في الأرض وشـــعرت بالخجل، فرحبت بها وأدخلتها لتجلس بجوار هنية على الســـفرة، بعد أن أعطتني علبة شـــوكولاته أنيقة أحضرتها معها.. وظلت منكســـة الرأس صامتة فيما بدأنا نتجادل أنا ومصطفي كالعادة.. لم يبعد نظره عنها فيما كانت هنية تراقبهما.. من داخله شـــعر أنه زوّدها.. أما هي فمـــا زالت لا تفهم طبعه بعد.. وضع لها قطعة لحم وقال لها في رقة: اتفصلي كلي يا آنســـة ليلي.. أنا آســـف أصلك اتاخرتي.. اتاخرتي كتير جدًا يمكن ســـنين.. نظرت له لتبدد دمـــوع إحراجها إلى فرحة كتمتها، وبـــدأت تأكل وتبادله الحديث..

كانت ليلى متألقة، تخلت عن شعرها الذي تضمه برباط للشـــعر منذ وفاة والدتها.. كحلت عينيها..

كانـــت رقيقة كعادتها مع لمســـة جمال ألهبت قلب عبد الوهـــاب، الذي كان يرى أن تهتهتًا في الحروف، تعطيها جمالًا وأنوثة وليســـت عيبًا فيها.. هكذا هو الحب تنقلب العيوب إلى مميزات ونصبح لا نرى إلا أن من ملكوا قلوبنا ملائكة!

لا أعلم لماذا جاء على بالـــي العقيد أبو الدهب.. فجأة دق جرس الباب.. فتحت الســـت هنية.. كان صوته مميزًا.. أبو الدهب هنا.. ما الذي جاء به؟.. قال في مرح كعادته: قاعدين بتاكلوا وقالبين مصر كلها.. ومـــا له.. اتاخر يا مصطفى.. نظرت له في دهشة، فكيف عرف مصطفى، فقال لي: خير يا فريدة هانم.. فيشـــيني.. ضحكوا جميعًا ماعدا أنا فسألته بغيظ: انت إيه اللي جابك هنا؟ فقال للســـت هنية: إيه يا أمـــي ينفع الكلام ده؟.. وبعدين دخلت لقيتكو حاطين اكل مكلـــش.. ينفع قلة ذوقها دي.. جارته هنية بعد أن أشارت لي بالصمت وقالت: يا أخويا جيل آخر زمن.. نظـــر له مصطفى وقال: هو ســـيادتك عرفتني منين؟.. ضحك وقال: مش قاعدين بنلعب يا ابني.. بقولك إيه يا درش: ناولني البطاية دي لحسان الاســـتاذة فريدة قابضة عليهـــا قدامها.. ميغركش

الرقـــة دي.. دي ممكـــن تاكلنـــا كلنـــا دلوقتي.

ناولته الشـــاي وهو يدخن ســـيجارته، فقال: انتي جايبـــة مصطفي هنا ليه يا فريـــدة؟.. نظرت له في عناد: انت مـــش مراقبنا وعـــارف كل حاجه.. قال في حـــزم: لا، لا، أنا في حاجة مش فاهمها.. في ســـر انتـــو مقولتوش عليه.. رددت عليه: انت متأكد انهم مظلومين؟ فقال: الصراحة شاكك.. أنا اعترف أن بعد ما كنت بجزم انهم مش مظلومين إنك دخلتي عندي شكوك.. وأضاف في حزم: إيه اللي خوفك على مصطفى، خلاكو تجيبوه هنـــا؟.. قلت له في ثبات انفعالـــي: مصطفى قرر يقعـــد يومين مع صاحبه.. إيه الداخلية هتمنعه؟.. وضع كوب الشـــاي وقال: لســـانك ده عاوز قصه.. استأذن للمغادرة فقلت له: باشا ممكن توصلني.. ابتسم في سخرية وقال: مختار باشـــا أبو الدهب بقي تاكسي يا ولاد.. فقلت له في لماضة: لا بس الوقت اتأخر والشرطة في خدمة الشعب سيادتك.. ضحك وقال: متتغلبيش!

أشرت لليلى لتأتي معنا لنوصلها لأقرب طريق، إلا أن عبد الوهاب أقنعها بالمكوث مدة أطول معه، على أن ينزل مصطفى معها ليوصلها لباب بيتها.

دخـــل الأقرع على معلمه حامـــلا كفنه.. كان قلبه خائفًـــا من غدر قادم من وسوســـة النحنوح له ليوغر صدره عليه.. وضـــع رقبته على الأرض.. قام المعلم بكل هيبة ووضع قدمه على رقبته.. تحشـــرج صـــوت الأقرع فقال له: بتخرج عـــن طوعي يا لا؟.

قـــال له: ما عاش ولا كان، بس انت ســـيد الحتة وليلى دي شـــرفي وشـــرفك.. قال له: هو حد جاب سيرة الشـــرف.. ده كانوا هيعلموها الصح ويدوها علقة في الشارع، عشـــان تبطل هي والشملولة اختها اللي بيعملوه... قال في حزم: لا يا معلم.. النحنوح كان داخل يلطخ شـــرف البت وهاتها اسألها.. نظر له في جبروت، بينما نكّس رأسه، فرفع قدمه عن ذراعه الأيمـــن.. جلس على مقعده الكبير العاج وقال: والله عال.

أنا أوامري بيتلعب بيها الكورة.. ملكوش كبير ياد منـــك ليه.. قال الأقرع: ما عاش ولا كان يا ســـيد المعلمين.. الحكـــم ليك.. فقال بصوت جهوري وهو يتكئ على مقعده: واد يا نحنوح مشفش خلقة أهلك أســـبوعين.. رايح تدخلنا في قصية اغتصاب، عشان الحكومة تقلب علينا واطيها.. وانت يا أقرع العيّلتين

دول بقوا تبعك.. لم السنيورة بتاعتك واختها بقا عشان مش عاوزين وجع دماغ، وأجهز عشان تسافر إسكندرية حالا ورانا شغل.

***

فجر ذلك اليوم كان مختلفًا بسجن العقرب.. طبيب السجن يحاول إنعاش قلب علي.. حالة من الجلبة في المكان أثارت خوف شفيق فقلبه كان يشعر بأن شقيقه سيموت.. بعد ساعة طلبه المأمور.. كانت شقيقته في ذات المكتب تبكي، ففهم أن (علي) مات.. ربّت المأمور على كتفه، وخرج ليتركه قليلا مع شقيقته، التي لم يرها منذ مدة طويلة.. بكا في حرقة ظل يصرخ في غل: هدمّرك يا أسيوطي.. يا عيني عليك يا أخويا ياللي مفرحتش بشبابك.. أنا السبب يا ابني، لو كنا طاطينا وادنالهم شقا عمرنا، كان زمانا عيشين ومستورين.. انا السبب انا السبب!

في الصباح اتصل بي اللواء السجيني، ليخبرني النبأ الحزين.. ثمة غصة اعتصرت قلبي، فالظلم يقتل أسرع وأقسى من حبل المشنقة.. أرسلت لشفيق رسالة لتعزيته، كان من شأنها أن تخبره، أنني أتابع أموره..

اتصلت بمصطفى وأخبرته بأن الوقت يداهمنا وعلية أن يصل لأية نتيجة.

***

ظلت تنتظـــر قدومه بفارغ الصـــبر.. قلبها بدأ يشتعل نارًا.. فلم يعد من ليلة أمس.. لا تراه جالسا على مقعده في المقهى.. لاحظت ليلى قلقها فسألتها عن ســـره، فأخبرتها فطمأنتها أنه لن يكون قد أُصيب بمكـــروه، فلو حـــدث ذلك لعرفت الحـــارة كلها.. تركتها ليلى، بعد أن ورد إليها اتصال من عبد الوهاب الذي اشتاق للقائها.

رن جرس هاتفي، كان النجار على الطرف الآخر.. أخبرني بعد أن أيقظني من نومي أن مهمته نجحت.. قفزت فرحًا من ســـريري، ارتديت ملابســـي وتوجهت له.. شـــاهدت المقطع كاملًا الذي يظهر فيه شطة بمفرده يفعل كل شـــيء.. وأنا أُعيـــد قراءة الأوراق تذكرت شهادة زوجة شـــفيق، التي لم تأت بصفة، لذا بات الذهاب إليهـــا لحل اللغز الأخير ضرورة.. قلت له: إن آمـــن مكان لتلك الشـــريحة أن تظل هنا في بيـــت عبد الوهاب، أما أنـــا فانطلقت أكتب الحلقة

الثالثة.. أننا توصلنا لدليل مرئي قاطع يؤكد براءة شفيق وحسن والمرحوم علي!

أخيرا ظهر الأقـــرع.. كان يحمل لفائف الحلوى والمشبك الإسكندراني.. دق على بابها فجرت لتفتح له، وجدتـــه وضع حلواه على بابها ونزل.. نادت عليه فقال لها: اقفلي بابك عليكي الوقت متاخر.. الصبح اجيلك ياست البنات.. طارت من الفرحة فلأول مرة تشعر بأن رجلا أحبها يخاف عليها وعلى سمعتها، لم يســـتغل حبها أو يستسهلها مثل شطة.. أمام رجولة الأقرع كانـــت تندم على حبها لمبلط الســـيراميك القاتل!

***

صبـــاح ذلك اليـــوم صدرت الحلقـــة الثالثة من التحقيـــق.. كانت كالزلزال حقًا.. قرأ أبو الدهب الموضوع وظل يضحك غيظًا، فقد كان متأكدًا من أنـــني أملك دليلًا له علاقة بالتكنولوجيا لأســـتعين بالنجار.. ارتبك الأسيوطي أكثر إلا أنه كان مكبّل اليديـــن عاجزًا بعقل متوقف.. انتظرت بفارغ الصبر أي ردة فعـــل من مكتب النائب العام.

اشـــتعلت مواقع التواصل مـــن جديد.. الكل بات يشـــعر أن (محمود وعلي شـــفيق وحسن ربيع) أبطال للكثير من القصص الـــتي تنغص صفو العلاقة، بين ضابط الشـــرطة والمواطن.. موت علي الدرامي الذي قصصته في فقرة في موضوعـــي، أثار حفيظة ودموع الكثيرين.. الكل بات في حالـــة تأهب، لإظهار دليلي المرئي الذي كنت قـــد قطعت منه صورا فوتوغرافية لتصاحب الموضوع.. لم أشـــا أن أُعطـــه لقناة تتاجر به وبالأســـاس به مشاهد صعبة للغاية، عملية الذبح للتأكد مـــن موتها.. انتظرت وانتظـــرت خطابًا أو مكالمة.

قرأ حســـن الموضوع، وأخبر (شفيق) بما هو مكتوب فقد كان زاهدًا بكل شـــيء بعد وفاة شقيقه الأصغر بشكل مأساوي.. سأله حسن إن كان يعرف عن الدليل المصور شيئًا، فأومأ برأســـه نافيًا.. ربّت على كتفه، فقال له: أنا هرجع هنا تانـــي.. هرجع بعد ما اقتل الأســـيوطي.. جحظت عينا حسن وأثناه عن تفكيره، فكفاهـــم ما حدث.. ازداد رعب شـــطة فكل الحلقات المكتوبة الماضية لم تثر قلقه، بحجة أنه رغي صحفيين وإن المحكمة مبتاخدش بالشـــهود بعد الحكم.. ظل

يحاول قـــراءة الجريدة بصعوبة.. هـــو وحده كان يعلـــم أن تلك هي صوره، فالصور أعادت إلى ذاكرته فعله الآثم الذي لم ينم بســـببه منذ ليلتها.. فوالدة اليتيمتين كانت الضيف الثقيل الذي يقلب أحلامه إلى كوابيس ترعبه!

كان في مكتبه كالمجنون.. نار عجزه قبل خوفه تخنقه.. كل شـــيء بات يؤرقه.. في مكتب حســـام البدوي الفارِه جلس مندور يحتسي كوب شايه، غير مصدق أنه متواجد كضيف في مكتب واحد من أكبر رجال الأعمال.. جاءت له السكرتيرة الحسناء لتدخله إلى الباشا.. سيجاره الضخم وأناقته الزائدة، ومكتبه الكبير بغرفة الاجتماعات أصابت مندور بالرهبة، وهو الأمين الذي يســـتغل ســـطوته في كل شيء متجبرًا على خلق الله.. أشـــار له البـــدوي بالجلوس فحياه وجلـــس.. قال له في هدوء: الأســـيوطي عمل ايه؟.. ارتبك

وقال: باشـــا لو عرف إني جيت هنا من وراه، زي ما طلب مني الأخ اللي اتصل بيه هيدبحني.. ابتســـم في ثقة وقال: الأســـيوطي بتاعك ده انا ممكن أنفيه.. ابتســـم مندور ابتســـامة غير مفهومة، فقال له: إيه

رأيك يبقي في حسابك الصبح ربع مليون جنيه؟.. نظر له في دهشة وقال: في حسابي انا.. انت عاوز إيه مني يا باشـــا بالظبط.. قام مـــن مكانه، فقام مندور بدوره وجلس في الكرســـي الموجود أمامه، وأشـــار له بالجلوس وشـــرعوا في اتفاق من نوع خاص!

***

اقترب منه زميله في الســـجن وقـــال له: انت من ساعة ما جيت هنا وانت واد مش مظبوط.. أنا أصدق على فكرة إنـــك تقتل القتيل وتدبس معاك ١٠.. لم يثـــر كعادته، ونظر له في توتر وهو يكمل: انت عارف انا لو مـــكان القاضي وكل الكلام اللـــي بيتقال ده صح.. أنا اديك اعدام وانـــا ضميري مرتاح.. بدأت أوصاله ترتعد.. كل شـــيء بدأ يقوده إلى الجنون.. تذكر ذلك اليوم الذي ألقى فيه الأسيوطي القبض عليه.. كيف عامله بدهاء حتـــى اتفق معه، إلى أن يأخذ الأستاذ وشـــقيقه وحسن في القضية، بحجة أن الشقة شـــقة الأول والثاني، وأن يحرر له المحضر بأنه سلم نفسه واعترف على شريكيه، لأن ضميره لم يسمح له فيأخذان حكم الإعدام بدل منه.. تذكر أنه سأله يومهـــا: هما عملـــوا لك إيه يا باشـــا؟.. دول ناس

طيبة وهما اللي جـــم بلغوا، واتهموني إني قتلت حد في الشـــقة بتاعتهم.. فقال في عصبية: ملكش فيه.. ها هتخلص ولا إيه؟.. قال له: العربية يا باشـــا مش بتاعتهم.. دي بتاعة صاحبهم اللي كان هيشـــتري المحل اللي تحت.. أومأ برأســـه: آه منـــا عارف.. انا بـــدل ما اقول انهـــم جم يبلغوا لأنهـــم لقوا الدم في الشـــقة، لما راحوا صدفة يطلوا عليك، وبسلامتك لما كنت راجع عشـــان تنضف مكانه وشـــفتهم فوق جريت وحاولوا يحصلوك فهربت.. ولما شافوا العربية اللي كانـــوا مدينها لك ثقة عشـــان تجيب وتودي الســـيراميك شنطتها مليانة دم، وعرفوا إنك عملت مصيبـــة فجم يبلغوا.. انا هقـــول أن انت اللي جيت تبلغ وإنك اســـتدرجت حماتك، بس عشان تسرقها لكن يا حرام فوجئـــت بالتلاتة بيخلصوا عليها..

سد الأســـيوطي كل الثغرات.. ووجد الشقيقان وصديقهما نفســـهما ضحية مؤامـــرة كبرى، انتهت بهما خلف القضبان ليضرب الأســـيوطي عصفورين بحجر واحد، ويأخذ عمولته الكبيرة من البدوي الذي بمجرد أن نطق القاضي حكم الإعدام الأول، قام بهدم العقار وبناء مصنعه وبرجه الضخمين.. شـــعر شطة

بالاختناق، فكان يشعر أن حبل المشنقة بدأ يلف حول رقبته بعد أن نجا منه!

خمسة أيام تفصلنا عن موعد تنفيذ الحكم.. اتصال من رئيس التحرير أخبرني فيه أن النائب العام ينتظر دليلي المرئي ليعيد فتح القضية.. لم تكن تسعني الفرحة، اتصلت بعبد الوهاب وأخبرته.

وقررنا أن نخرج للاحتفال، فكلنا شركاء النجاح وإن تصدر اسمي المشهد، وبالطبع دعونا ليلى ووردة التي طمأنتها أن الأسيوطي لن يشك في مقطع الفيديو الخاص بها، فقد دمره بيده قبل أن يراه ولن يعلم أنها هي!

كنت مخطئة في ظني.. عاد الأسيوطي بذاكرته للوراء.. إلى ذلك اليوم الذي حضرت فيه وردة إليه معها مقطع الفيديو قال بصوت عال: آه يا بنت ال... اتصل بمندور وأخبرة بأنه يريدها عنده، ليتأكد عن أي دليل أتحدث ليستعد بدفوعه.

أنهت ارتداء ملابسها.. وانتظرتها.. كانت تلاحظ اهتمامها الزائد بنفسها إلا أنها لم تشأ أن تحرجها يومًا.. فوجئت بطرق شديد على باب

شـــقتها.. هرعت لتفتح فوجدته منـــدور.. امتقع وجهها وهوى قلبها في قدمها فقالت له: إيه في إيه؟.. قبل أن يخبرها بشـــيءٍ، وجد الأقـــرع خلفه، يقول له بصوت جهـــوري: خير يا باش أمين.. البيوت دي مش ليهـــا حرمة ولا ايه.. ولا مؤاخـــذة مفيش رجالة في الحارة عشـــان لما نعوز النســـوان نقولهـــم؟.. التفت مندور للأقرع الذي كان يهابه ويكرهه، فالأقرع يأخذ سلطته من المعلم الكبير صاحب الشهرة، فقال له: يا أقرع الباشا عايزها.. دمعت عينا وردة وشعرت بخوف لم تشعر به من قبل.. أغلق باب الشقة عليهن وقال له: دول بقوا تبعي بأوامر المعلم.. مينفعش حد يقرب.. روح قول كده للباشا ولو عاوزني انا.. أنا اجي معاك!

دخل الرائد كريم إلى (أبـــو الدهب) ليخبره بأن النائب العام سيصدر أوامره بفتح القضية بعد الأدلة التي قدمتها.. ابتســـم وأمره بالانصـــراف.. أمّا هو فظل يفكر، فقد كان هناك كواليس أخرى يصنعها في قضايا عدة.. كان يجمع الأدلّة لإدانة الأسيوطي بالفساد لضمان فصله تماما فالداخلية لا تتستر على أحد ولا تدعم فساد!

***

ظللنا ننتظر وردة وليلى فلم تحضرا.. اتصل عبد الوهاب بها فأخبرته أن الأسيوطي جاء لشقيقتها.. لم يفهم لماذا لم تدل وردة بشهادتها وسر خوفها الشديد منه.. كان يعتقد أنه مجرد خوف من أذاه.. أخبرني بما حدث فألغينا حفلنا وذهب النجار مع الست هنية وجاء معي عبد الوهاب.. فتحت لنا ليلى.. كان وجهها حزينا قالت لنا أن وردة تبكي وأن حالتها النفسية سيئة ... في حجرة والدتها جلست على سريرها تحتضن جلبابها، وكأنها تستمد منه القوة.. رفعت وجهها الغارق في دموع سوداء من الكحل الذي سال حزنا.. قالت لي: شفتي آخرتها.. شفتي آخرة اللي يقول الحق.. أنا هتفضح.. الأسيوطي عامل زي الفرخة المدبوحة ومش هيسيبني في حالي.. هيفش غله كله فيه.. اقتربت منها، انتفضت وقالت: محدش يقرب لي.. سيبوني في حالي.. كان زماني ميتة ومرتاحة.. جحظت عيناها واتجها نحو النافذة تريد أن تقفز.. هوى قلبي في قدمي.. أمسكت بها وظللت أصرخ. استطاع عبد الوهاب السيطرة عليها.. وأحضرت ليلى حقنة مهدئة، كتبها لها طبيبها وأعطتها لها.. انتظرنا حتى هدأت وأمرتهما بالخروج وتركي بجوارها، كنت أشعر بمصيبتها الكبرى.

دخـــل عليه مندور مكتبـــه.. نظر خلفه فلم يجد وردة فاستشـــاط غضبًا، فقال لـــه: إن الأقرع بالخارج وجعلها في حمايته فأمسك بهاتفه ليتصل بمعلمه، إلا أن فكرة شيطانية قفزت إلى عقلة فابتسم فقال له: بقولك ايه.. دخله.. أنا هخليه يقتلها بإيده وأبقى انتقمت وطلعتها بت شمال وعـــاوزة تنتقم من الواد شطة.. ابتســـم له وقال: إيه يا زينة الرجال.. البت واكلة دماغك عـــاوزة تبلفك.. احتد الأقرع عليه: باشا.. ملكش دعوة بالســـت ورده.. الحكاية اللي ما بينكو قديمة وهي مش هتدخل ولا هتشهد بحاجة... ضحك الأســـيوطي ضحكة عالية، وقال: وهي لسّـــه مش هتدخل.. أنا عارف إنها اللي ادت للبت الصحفية الفيديـــو.. رد عليه: يا باشـــا متظلمهاش دي واحدة أمها ماتت، من الأولى تســـلمه لك انت... قاطعه في حدة: طب كويس.. خلينا نتكلم ع المكشوف.. كل اللي بيتقال صح.. والبـــت الصحفية صح.. والبت بتاعتك جت تديني الفيديو وانا قولت لها: لا وولعت فيه لأنه فيه القاتل بس مش التلاتة التانيين.. اقترب منه وقال: مفكرتش انت بقا مرحتش تســـيح لي ليه وتشتكيني.. قال له: يمكن عشـــان حرقت الفيديو.. ابتســـم وربّت على كتفه وقال في سخرية: لا، لا انا

عاوزك نبيه ومفتح، ما هي طلعت أروبة وسايبة نسخة اديتهـــا لاختها لما افتكرت نفســـها هتموت لما قطعت شرايين ايدها..

فكر الأقـــرع قليلا ونظر له: حبيبـــة القلب باعت نفسها لشـــطة يا شيبة وكانت حامل منه.. سقطت الواد لما دخل الســـجن عشـــان فضيحتها متبنش.. أمســـك الأقرع بياقة قميصـــه في عنف وصرخ: لا يا باشا عند الأعراض لا يا باشا.. دخل مندور والملواني على صوته، وحاولا الإمســـاك به إلا أنه طلب منهما أن يتركاه، فهو يعـــذره وطلب منه أن يذهب لمواجهة وردة وأن يعود إليه إن كان مخطئًا فسيكون في رقبته له حق عرب.. خرج الأقرع من القســـم مثل المجنون متجهًا إلى حارته يفكر!

***

صبت له كوب شـــايه.. كان متعجبًا من رد فعل وردة.. بالنسبة لليلى كان عبد الوهاب الذي اعترف لها بحبه أول ســـند حقيقي تشـــعر به في الدنيا منذ وفاة والدتهـــا.. فكرت قليلا ألا تخبره إلا أنها كانت توقن أن كل الأســـرار ستنكشف إن آجلًا أم عاجلًا.. قالت له في حذر: اللي شفته وردة محدش شافه.. أنا

بلوم عليها صحيـــح.. بس الحقيقة دفعت أكبر من غلطتها بكتير، والزمن لسّـــه مصر يهد حيلها.. نظر لها في فضول: غلطة إيـــه دي؟.. نظرت له في خجل وقالت: وردة ليها ابن من شطه.. كاد أن يرتشف شايه فأعاد كوبه مكانه، وقال في دهشـــة: ولد من مين؟.. ازاي يعني هما كانوا متجوزين ولامخطوبين؟

رددت في تهتهة زائدة: مخطوبين يا عبد الوهاب.. انتفض من مكانه وصرخ: اختك مخلفة في الحرام.. يعني ايه.. ومن مين.. من اللي قتل امها.. ايه العيلة الضايعة دي.

كلماته كانت خناجر تطعـــن في قلبها، إلا انها استســـلمت لعصبيته.. خرجت على صوته فقال لي: اسمعي هاتي شـــنطتك ويللا.. تولع يا ستي.. دول عالم شمال.. والشـــقة دي هتشبهك، لما الأسيوطي يقـــول للحارة كلها: إن الهانم مشـــهدتش عشـــان تداري على فضيحتها.. قاطعته وأشرت له بالصمت، فنظر لي: انتي حسابك معايا بعدين.. كنتي تعرفي ومقولتليش.. عاوزاني اجوز واحدة اختها بنت ليل..

ثرت عليه لأول مرة: اخرس بقا.. الست نايمة جوا مش مستحملة كلمة.. عاوز تنزل اتفضل انا قاعدة

هنا.. نظر لي في خنـــق وخرج مغلقًا الباب خلفه في عنف.. لم تتحرك ليلى مـــن مكانها.. ظلت حزينة بدموع عجزت على أن توقفها.. لم أستطع قول شيء لها فاكتفينا بالصمت!

***

اتصل الأسيوطي بالبدوي، ليعلم كيف سيساعده في ورطته فلم يرد عليه.. استشـــاط غضبا فأرسل له رسالة فرد عليه البدوي: أعلى ما في خيلك اركبه.. كان العقيد أبو الدهب قد أمســـك بخيوط اللعبة كلها.. بـــات يفهم ماذا يحدث وكيف حدث.. أخذ ضباطه لمســـرح الجريمة، وشـــرح لهم كيف تمت.. اســـتطاع أن يجمع الكثير عن الأسيوطي ليرسل ملفًا ضخمًا، لقطاع التفتيش وليس مجرد تقرير.. شـــعر الأسيوطي بتضييق الخناق عليه فتح خزينته، واتصل بصحفي يعرفه ليعطيه الوثائق.. اكتشف بتفتيش خزينته أن المســـتندات مفقودة فأغلق الهاتف، واتجه نحو كاميرا وضعهـــا في مكان خاص لا يعرفها أحد غيره وشرع في تفريغها.

***

رجع عبـــد الوهاب إلى الســـت هنيـــة، وارتمى في أحضانها كطفل يبكي.. لم تفهم ما الذي حل به ولم تشأ أن تضغط عليه فاحتوته في قلبها.. أخبرها بما حدث فصمتت تمامًا حتى نـــام وأغلقت باب حجرتة وظلت مســـتيقظة طوال الليل في صالة الشقة.

ذهبت إلى بيتي بعد أن أوصيت ليلى على شقيقتها.. جهزت كل شيء.. الأوراق والفيديو وشهادات الشهود التي وثقتها صوتًا وصورةً في الشهر العقاري.. لم أنم ليلتها حتى طلع الصباح.. استقبلت أول اتصال من (العقيد أبو الدهب) قلت له في لماضة: بتفائل بصوتك ع الصبـــح.. على الله ما تحصلش كارثة.. ضحك وقال: يا بنتي مفيش جملة واحدة مجاملة من غير ما تعكي؟.. اسمعي تحت في أمين شـــرطة مستنيكي.. صمت قليـــلاً وقلت له: أمين شـــرطة.. ليه خير؟.. فقال: لا ولا حاجة حرس.. مش الشـــرطة في خدمة الشعب.. تحســـبًا بس لأي حد يفكر يهوب.. مالت نبرته إلى الجدية وقال: اسمعي يا فريدة الداخلية ما بيعجبهاش الحال المايل ولا ظلم الناس.. الحراســـة دي صحيح مـــش رسمي، بس ده أقـــل واجب نقدمه

لحد مدني، بيحاول يعمل نفس شغلتنا.. إنه يكتشف الحقيقة وينصر مظلوم ويهد ظالم..

أغلقت الهاتف معه ونزلت سريعًا للقاء النائب العام.. لم أجد أي أمين شرطة ينتظرني.. اعتبرتها دعابة من (أبو الدهب) فضحكت.. نزلت سلم العمارة لأستقل تاكسي فوجدت سيارته أمامي.. فتح النافذة وقال في سخرية: فريدة هانم علم الدين.. الباشا بعتنا نودي سيادتك للنائب العام.. ضحكت.. (أبو الدهب) كان دافعًا بتحديه لي دون أن يقصد لأصل إلى ما وصلت إليه!

***

في شارعي كان سلطان يقف.. ربما منع وجود (أبو الدهب) كارثة لا يحمد عقباها!

***

ظل طوال الليل غاضبًا كاظمًا غيظه.. لم ينطق بشيء.. اتصل بمندور وأمره بتجهيز السيارة ليقله إلى مأمورية بالسلام.. طلب منه أن يقود وظل طوال الطريق يتحدث معه بشكل عادي حتى وصلا إلى منطقة مهجورة.. أوقف السيارة وقال له: انزل يا فالح

شوف العجل.. ترجل مندور وظل يفحص عجلها.. لم ينتبه لنزوله خلفه.. شـــد أجزاء سلاحه، فارتعد قلـــب مندور الذي التفت له فوجده مصوبًا ســـلاحه نحوه، فصرخ: إيه يا باشـــا في ايـــه؟.. رد في عصبية مجنونة، عاوز تعرف في ايـــه.. عاوز تعرف.. انا اللي عملتك.. بعتني بكام.. الخيانـــة جزاؤها الموت وإذا كنت فاكر انكو قضيتو عليه، تبقوا غلطانين ده انا رفعت الأســـيوطي يلا.. ضغط زناد طبنجته مطلقا عليه خمس رصاصات وصرخ كالمجنون وأخذ سيارته وفرّ هاربًا.

***

اســـتيقظ من نومه.. رأسه كان يؤلمه.. كان قد قضى ليلته كلها في احتســـاء الخمور والمخدرات.. قلبه لا يريد مواجهتهـــا إلا أنه مجبر لحمايتها مما أوقعت نفســـها فيه.. دق جرس بابها.. كانت ليلى قد غطت في نوم عميق، من إجهاد نفســـي وجسماني لليلة صعبة.. فتحت الباب في ضعف.. كان وجهها شاحبًا.. عرفت من ملامح وجهه أن الأسيوطي أخبره.. لم يشأ أن يجرحها أو يحرجها فقلبه لم يطاوعه، رغم أنه طوال الطريق كان يرســـم ســـيناريو طويلًا بأن

يصب عليها جام غضبه.. قال لها معاتبًا في هدوء: ليه كده يا ست الناس؟.. انهارت في البكاء.. لم تستطع النطـــق.. جثا على ركبتيه يبكـــي.. الآن تأكد أن كل ما قاله الأســـيوطي صحيح.. فرحل مكسورًا.. ظلـــت وردة تلطم على وجهها حتـــى فقدت الوعي..

أعطتها ليلـــى حقنة أخرى وخرجت تبحث عنه.. وجدته جالسًـــا في بدروم عقارهما مختبئًا في ظلامه يبكـــي.. اقتربت منه وجلســـت إلى جـــواره، قالت له في براءة: أنا الســـبب.. انا اللي اتســـببت لها في الألم والفضيحة دي.. وردة مباعتش نفســـها.. وردة حبت وانضحك عليها.. لو بتحبها متسيبهاش.. الحب مش وقت الفرح بس.. الحب الحقيقي بيبقى وقت الكسرة والحزن.. لما حبيبك يغلـــط حتى لو فيك ويجري يستخبى منك فيك.. والشرف في روحنا وعقولنا.. تركته لتعود لشـــقيقتها فقال لها: ست ليلي.. هو ابن شطة فين.. ردت في هدوء: اسألها وهي تقولك.

تركني أبو الدهب على ســـلم دار القضاء، بعد أن تمنى لي التوفيق.. ســـلمت كل الأوراق وذهبت إلى مكتبي لأكتب تفاصيل لقائي بالنائب العام، وأنه قرر فتح القضية رسميًا بعد الاطلاع على الأدلة.. شـــيء

ما جعلني أنوي الذهاب لزوجة شفيق فما زال لدي لغز حول شـــهادتها، التي لم تأت في صف زوجها.. حصلت على عنوانها من شـــقيقته، وذهبت إليها حيث تسكن بباب الخلق.. ارتبكت عندما علمت من انا، وقالت لي: جوزي هنا ومبيحبش الســـيرة دي.. طمأنتها أني لن أخبره من انا وأني سأتحدث معها لدقائق.. قالت له أنني صديقتها في العمل.. قالت لي وأنا أنظر لطفلين يستذكران دروسهما على السفرة: إنهما أولاد شفيق وإنها تزوجت من ابن خالتها الذي أراد الزواج بها قبله وأنه جرب حظة مثلها وطلـــق زوجته لأنه لم ينجب، وأنه يعشـــق طفليها ولا يكره كونهما أولاد شـــفيق وأنهم اضطروا لبيع كل شيء في منطقتهم، ليشتروا تلك الشـــقة ويبعدوا أطفالهما عن ماضي شـــفيق، الذي كان يطاردهم بعد أن ظل أهل الشـــارع كلهم يعايرونهـــم حتى أن طفلها الأكبر أصيب باكتئاب، فهذا حال المحكوم عليهـــم في مصر حتى وإن برأتهم ساحات المحاكم..

سألتها عن شهادتها بأن (شفيق) لم يكن متواجدًا في بيته ليلة وقوع الحادث، فردت في أســـى: كل شيء كان صعبًا وقتها.. فالأســـيوطي أخبرها أنه عليها

النجاة بولديها... كانت خائفة على أطفالها من كل شيء.. كانت تعلم أنه وقع في يد من لا يرحم.. قالت لي: أنا متابعة اللي بتعمليه، وربنا يطلعه من اللي هو فيه وحزنت على وفاة علي.. أنا هديكي دليل تاني عشان حق العشرة اللي ما بيني وبين شفيق، ولو أنه شايفني خاينة عشان طلبت منه الطلاق واتجوزت، بس اوعديني متجيبيش سيرتي.

ابتسمت لها في حماسة.. أحضرت شريط فيديو وقالت لي: خدي ده شريط فرح بنت المديرة بتاعتنا وقتها في المدرسة.. قلت لها: أعمل بية أي ده؟.. ابتسمت: ده انتي أستاذة الأساتذة.. شفيق ومحمود وعلي كانوا التلاتة في الفرح في الساعة اللي الطب الشرعي حدد فيها موت المرحومة، عشان كده كلهم طلعوا مع بعض على الشقة الجديدة بتاعة شفيق، عشان يوري لهم انها قربت تخلص وياخد رأيهم في الألوان، فراحوا لقوا المصيبة دي.. قلت لها في فرحة: مكنتش اجيلك قبل النائب العام.. قبلتها في سعادة لأرحل فقالت لي: كتب كتاب البت كان ليلة الفرح.. هاتي قسيمة جوازها عشان تثبتي أن الفرح كان ليلتها.. دي حكاية عدى عليها عمر.. ودعتها

ومضيت في طريقي.. لم ألحظ أن سيارة سوداء تتابعني.. جزت الشارع مع عربة بطاطا شاء الحظ الحسن، أن تمر أمامي لتأخذ صدمة اغتيالي كاملة ولأقع أنا فاقدة الوعي!

***

استيقظ عبد الوهاب.. بحث عن الست هنية فوجدها جالسة.. جلس بجوارها فابتسمت له.. قالت له: معقول الواد المثقف والشهم اللي جالي ينقذني والحنين اللي لمني في بيته يطلع كده؟.. نظر لها في دهشة وقال لها: أنا عملت إيه يا امي؟.. اعتدلت في جلستها وقالت: يا ابني احنا في الدوامة دي كلها عشان الظلم.. نقوم احنا اللي نظلم.. شعر أنها تريد أن تفاتحه، في قصة ليلى فحاول الهرب بحجة أنه لا يفهم شيئًا فواجهته: (ألا تزر وازرة وزر أخرى).. مش ربنا بيقول كده.. مش النبي -عليه الصلاة والسلام- بيقول كده؟ قاطعها عبد الوهاب وقال في حزن: بس انا مش نبي، فقالت له: امال كانوا بيعلمونا سيرته ليه؟..

***

اسمع يا ابـــني كلنا معرضون للخطأ وإذا كانت وردة غلطت، فليلـــى ملهاش ذنب.. وبعدين انت لايم عليها عشـــان ســـت، ومش لايم على اللي عمل كده فيها عشان راجل.. الحساب واحد قدام ربنا يا ابني.. قال لها: بـــس المجتمع ما بيرحمـــش.. جذبته من ذراعه: الناس مبيعجبهـــاش العجب.. حلو هيكلموا وحـــش هيكلموا.. اختصرت شـــرف ليلى في شـــرف اختها، واختصرت شرف وردة اللي قعدت تربي اختها وحافظت عالبيت وسمعتها وشغل امها، وهي بطولها، في غلطـــة ارتكبتها في لحظة طيـــش.. انت مش ربنا يا ابني مع أن ربنا بيســـامح.. نظر لها فأضافت: هي الرجولة لما نحب حد ويطلع فيه عيب ولا عنده مشكلة نجري ونســـيبه، بدل ما نقف جنبه ونقويه، حتى لو مش هنكمل معاه.. احتضنها بقوة وقبل يدها فربّتت على كتفه، وقالـــت: روح لها يا ابني دول ولايا.

***

جلس الأســـيوطي في مكتبه، في حالـــة يرثى لها خاصة بعد علمه بتســـلم النائب العام لكافة الأدلة.. ورده اتصال يخبره أن فريدة علم الدين صدمتها سيارة طائشة، فارتعدت أوصاله.. من داخله شعر أن الحادث

مدبـــر... اتصل بســـلطان فأخـــبره أن البدوي أمره بتصفيتها وقال له: إنها أوامره.. أغلق الهاتف لتدور به الدنيا مـــرة أخرى فالكل ســـيجعلون منه كبش فداء.. اتصال آخر توقعـــه.. كان هو.. أبو الدهب يأمره بالذهاب إليه!

***

دخل رفعت الأسيوطي مكتب (مختار أبو الدهب).. كان غـــروره يأبى عليه إظهار مـــدى توتره من لقاء مفاجئ يجمعه، بمفتش مباحث الأمن العام المحنك الذي ملأ صيته الداخلية كلها، فرغم كل ما يحدث معه كان عنده أمل بأن يعرف كيف يخرج مما وقع فيه.. الـــكل كان يقلق من (أبـــو الدهب).. كبار الضباط قبـــل أصغرهم فالـــكل كان يعمل لنبوغه وشـــخصيته القوية ألف حســـاب.. نظر إلى لوحته الخشـــبية المدون عليها اسمـــه.. كان يطمح في أن يجلس يوما ما مكانـــه عند وصوله إلى نفس الرتبة.

انتفض الأسيوطي عندنا دخل عليه.. وجه مفتشه لم يكن يبشـــر بالخير.. جلس علـــى مقعده الضخم الذي كان يملؤه هيبة ملقيًـــا بطبنجته أمامه.. لم يرمق ضابطه صاحب الســـجل المملوء باتهامات من

مواطنين وشـــكاوى لا حصر لها من ســـوء معاملته واستغلاله لنفوذه.. ظل الأســـيوطي واقفا في حالة اســـتنفار، يحاول أن يقرأ معالم وجهـــه التي كانت غاضبة.. لمدة نصف ساعة ظل عبد الحي يقرأ أوراقًا أمامه، ويمهرها بإمضائه، قبل أن يبعد كشاف القراءة الخاص بســـطح المكتب ويلوي رأسه، وهو ينظر له!

- كنت فين يا أسيوطي النهار ده؟

- افندم يا باشا.

- اطرشـــت يا رفعت؟.. انا ســـألت السؤال ومش هعيده تاني ومســـتني إجابة، ولو حســـيت انها كدب انت عارف هعمل ايه.. وبما إنك كداب وهتكدب انا هرفعك من المباحث.

- يا باشا انا...

قال غاضبًا: انا مخلصتش كلامي.. إيه يا رفعت انت اتهبلت.. ده يا حبيبي الكلام الرسمي.

تحرك أبو الدهب من مقعده ببطء متجها نحوه.. كان يسمع دقات قلبه يخفق في هلع واقترب من أذنه قائلا في خفوت:

لو حصـــل لفريدة علم الدين حاجة، تارها هيبقى معايـــا مش هخليك.. ما هخليك ترتاح ولا انت في الميري ولا انت براه.

شعر الأسيوطي بنغزة في صدره، إلا أنه أخفى رعبه بغرور أوقعه في المحظور.

- آه هي الحكاية بقة فريدة علم الدين.. البت دي ياباشا بنت...

قاطعة أبو الدهب في عنف:

الكلمتين خلصوا وادعي لو مقبول لك دعوة، ولا لو عملت حاجة عدلة في حياتك إنها متمتش.

نظر إليه في حنق بالغ:

باشا انا عاوز افكرك أن حمايا يبقي اللواء ممدوح شرف!

ضحك أبو الدهب ضحكة سخرية، قبل أن يمسك بياقة قميصة ليصاب الأسيوطي بذعر، فقلبه قد هوى في قدمه، وشـــعر بأنه قد خانه اللفظ والطريقة، فلم تكن شخصية أبو الدهب سهلة أبدا لتقبل ابتزازًا.

نظر في عينيه وقال له بصوت جهوري: انت اجننت رسمي.. ولا ايه.. هو سيادة اللواء عارف أن مأموريات آخر الليل بتاع كل ليلة بتقضيها في شارع الهرم؟

امتقع وجة الأسـيوطي إلا أن (أبو الدهب) زاد من قبضته على رقبتة وأضاف:

وسـيادته عارف بـرده إنك ضاحـك على بنته بتوكيل، وبيعتها كل اللي وراها واللي قدامها وانعا متعرفش وإنك مستني لما يخرج معاش عشان ترميها.

دفعه بشكل مهين وبنبرة قوية قال له: ما هو عديم الضمير اللـي زيك هيفضل كده على طول.. فيما أذعن الأسيوطي تمامًا فما يقولونه عن (أبو الدهب) أقل بكثير مما وصفوه به.. لملم الأسـيوطي نفسـه بالـكاد قبل أن يصرخ به أبو الدهب: اطلع برة يا....

شـعر الأسيوطي بأن الأرض تتزلزل تحت قدمه.. ارتباكه جعلـه لا يرى أمامه، حتـى أنه لم يتوقف عندما رأى مساعد الوزير يدخل من بَهْوِ المصلحة ولم توقفه حتى تنبيهات زملائه بضرورة التوقف لإعطائه التحية.. فقد كان عقلة سـارحًا في شيء آخر ويداه تبحث عن هاتفة المحمول.. كان الرقم الذي يبحث

عنه أمام عينيه ومع ذلـــك ظل يبحث ويبحث حتى استشـــاط غضبًا، فألقي هاتفه في الأرض لتنكســـر شاشـــته، قبل أن يستند على ســـيارته الفارهة التي لا يعلم أحد من أين جاء بها، وهو ابن الأسرة المتوسطة الـــتي قاطع كل أفرادها بعد زواجه من بنت الباشـــا التي أوقعها في حبه، والـــتي نقلته إلى عالم آخر ليبدأ في توسيع نفوذه، منذ أن نفعته توصيات حماه ليصبح رئيسا للمباحث لمدة غير بسيطة.

كان يشـــعر بأنه ســـيصاب بجلطة.. لملم هاتفه من الأرض وحاول تشغيله بالكاد ليخرج رقم الملواني ليشرع في نقله على هاتفه الآخر، وما أن رد عليه حتى حدثـــه في خنق ولهفة: إيه يا ابـــني، البت الصحفية كويســـة؟ فقال له: قدر ولطف يا باشا بس انا شفت سلطان هنا وقلقان منه.

أغلق الخط ســـريعًا واتصل بسلطان صرخ فيه: أنا هنفيك من على وش الدنيـــا.. بتهبب إيه عندك.. اختفِ خالص.

***

ابتلع سلطان المسجل خطر ومرشده لمعظم القضايا المشبوهة ووسيطه، ريقه بصعوبة بالغة وقال: رحت اطمن يا باشا.. يا باشا انا نفذت اوامركم.. انا طول عمري خدامك و...قبل أن يكمل كلامه أغلق الأسيوطي الهاتف في وجهه.. وعاد إلى مكتبه يفكر فيما يجب عليه فعله للخروج من ورطة أوقع نفسه فيها، وبات عدوه فيها ليس فريدة علم الدين وحدها بل العقيد مختار أبو الدهب بجلالة قدره.

جلس أبو الدهب على مقعده.. أثار غضبه لقاؤه بضابطه القبيح.. ما قالته فريدة علم الدين عنه وكان مخفيًا كان أقل بكثير مما عرفته عنه تحرياته المكثفه.. نظر إلى صورتها الملونة الموجودة أعلى مقالها في الجريدة المشهورة التي تكتب بها.. نظر لها جيدًا.. لأول مرة يتأملها.. ولأول مرة كان يشعر أنه قد يفقد شيئًا ثمينًا في حياته المملة والروتينية البحتة.. قد يفقد تلك الابتسامة التي تخرجه من حياة الميري الصعبة، ففريدة باتت صديقة مقربة إلى قلبه، وليست صحفية مجنونة ومجازفة لأقصى درجة تزعجه أحيانا مشاغباتها.

***

في مكتبه ظل الأسيوطي يتحرك كالمجنون.. لا يعرف ماذا حدث لعدوته التي تمكث بين الحياة والموت والتي أرسل إليها رسـًلا عزرائيلية لترسلها إلى الجنة.. كان من داخله يحترم فريدة علم الدين، ويشعر بالعجز التام ومدى صغره أمام مبادئها وقوة شخصيتها وصلابتها وإصرارها رغم كل التهديدات والمخاوف التي حاصرتها.. إذا كان يحكم على نفسه بنار جهنم فهو يراها بالنسبة لدنياه القبيحة تستحق الفردوس الأعلى.. جاءه هاتف انتظره بفرغ الصبر رد في لهفة:

ايوا يا باشا.. في خبرين واحد وحش وواحد حلو!

رد في عصبية:

اخلص يا اخويا.. هي فوازير رمضان.

تلعثم وقال: خدامك يا باشا.. البت الصحفية حالتها استقرت.. بس البت المرضة اللي وزها سلطان اتقفشت وشكلها هتجيب رجليه.. البت دي مش هتمسك نفسها كتير.

شعر الأسيوطي براحة إلى حد ما، غير أنه أغلق الهاتف وعاود الاتصال بسلطان وقال له: ممرضة إيه

اللي كنت واززها، بقى رايح تطمن.. ولا رايح تكمل مهمتك عشـــان تاخد باقي فلويك وتلبســـوني في الحيط زيادة منا لابس.. وحياتك لهنفيك.. مثلما لعب دور عشـــماوي في حياة الكثـــير من الأبرياء جاء الوقت ليقبض روحه عشـــماوي الحقيقي؛ فقد اتصل الأسيوطي بطارق الرشيدي زميل الميري وأخبره بمكان اختباء سلطان ليتم القبض عليه.

***

علمت ليلـــى بخبر محاولـــة اغتيـــال فريدة من مصطفـــى، والذي أخبر بـــدوره عبـــد الوهاب الذي اصطحب الســـت هنية، وهرولا إلى المستشفى.. قالوا لهم أنني انتقلت إلى غرفة عادية فحالتي مســـتقرة.. كنت أفقت عندما دخلوا لزيارتي.. اســـتأذنت ليلى لتذهـــب إلى وردة لأنها تركتهـــا بمفردها.. كنت غاضبـــة من عبد الوهاب إلا أنـــه أزال غضبي، عندما قال لليلى: اســـتني هوصلك.. دمعت عيناها ومضت في طريقها فيمـــا تبعها هو... رغم حزنها منه إلا أن قلبها كان يرقص فرحًا.. لم يتعاتبا حتى وصلا إلى بيتها.. شكرته فقال لها أنه سيصعد معها للاطمئنان على وردة..

كانت وردة تجلس حزينة في صالة شقتها عندما دخلت عليها ومعها عبد الوهاب.. حاول أن يخرجها مما هي فيه إلا أن حالتها أبت عليها ذلك.. دق باب شقتها.. فتح عبد الوهاب، كان الأقرع على الباب.. دخل وقال بصوت جهوري: اتفضل يا مولانا.. تلعثمت وردة عندما رأت شيخًا يدخل معه سأله عبد الوهاب: مين ده؟.. انت جايب شيخ يقرا عشان يهدي حالتها النفسية.. على اساس أن لابسها عفريت وبتاع.. الكلام ده بطل خلاص.. ضحك الأقرع وقال: عفريت إيه يا أستاذ.. ده مأذون.. لا مؤاخذة ده جاي يكتب كتابي ع الست ورده..

كاد الخبر أن يوقف قلبها فبكت.. أخذها في صدره وقبل جبينها.. شعر عبد الوهاب بضآلته أمام حب الأقرع الجاهل لوردة فطلب خطبة ليلى منها رسميًا.

***

كانت كل تلك الأخبار تسعدني وأسعدني أيضا نبأ بدء إعادة محاكمات شفيق وحسن ربيع، التي باتت مثار حديث مصر كلها.. بعكاز ذهبت إلى المحكمة وأنا في كامل أناقتي.. بدأت المحاكمة بسرد

كل الأدلـــة وأمام المواجهات اعترف شـــطة -وانهار- بجريمتـــه، فوجئنا أنا وأبو النيل بشـــاهد نفي آخر، وإثبات لما قلناه.. لم نكن نعرف من هو حتى حضر في نهاية المحاكمـــة، وكان مفاجأة للجميع..

إنه الملاواني أمين الشـــرطة الذي ضرب مثلا آخر لأفراد الوزارة، في بشاشته وإنســـانيته ودماثة خلقه، ليشـــهد بأنه كان حاضرا وقتما جاء حســـن وعلي وشـــفيق ليحرروا محضرًا ضد شطة، لشكهم في قيامه بقتـــل أحد مـــا، إلا أنه فوجئ أن كل شـــيء انقلب واعتقد أنه مثلما قيل لهم: إنهم مثلوا تلك التمثيلية لكي يضللوا رجال المباحث إلا أنه وبعد كشف الكثير من الحقائق، فقد استأذن وزارته التي أذنت له للإدلاء بشهادته وإنه يشك..

أدلت ليلى بشـــهادتها حول مقطـــع الفيديو والتي قالت: إن أحد جيران شفيق والذي كان يسكن كجار له في الشقة التي وقعت بها الجريمة، استطاع أن يصور المقطع من شرفته، وإنه جاء ليعطي شقيقتها المقطع لتتصرف هي، فقد كان يخاف الدخول في مثل هذه القضايا وإنها علمت فيما بعد أنه توفي في حادث سير.

***

سـأل الأقرع وردة عن ولدهـا فأخبرته بمكانه، في الملجأ، فذهبا سـويًا وأخرجاه.. قالا لـه: إنه والده وإنهـا والدتـه.. أخذته أخـيرًا في أحضانها.. حب الأقرع لها أنهى حيرتهـا.. هل تكرهه لأنه يذكرها بوالده أم تحبه؟.. هي أُمّ في النهاية.. اصطحباه إلى بيتها لتعيش أيامًا قليلة في سـعادة لم تذقها من قبل، بعدما قبل الأقرع أن يكتبه باسمه، ليستطيعا إدخاله للمدرسـة وأن يحيا حياة طبيعية..

طلبت منه وردة أن يكون مهرها تركه للحرام وأن يحمـل عنها حمل المدبغة، لتتفـرغ لمصطفى، فوافق وأخبر معلمه الـذي وافق أن يعتقه على مضض!

كان الأسيوطي كالمجنون، يريد للكل نهاية مأساوية غير سعيدة.. بالنسبة له كان دليل وردة هو من قسم ظهره... أراد أن يقتلها الأقرع فتزوجا وستر عليها.. قرر أن يكمل سلسال شره فانتظر وصول شحنة مخدر باسـم المعلم الكبير، وأبلغ الداخلية عنها باسم فاعل خير ليتم ضبط رجاله، والكمية الكبيرة التي تسـاوي ملايين.. اتصل به وأقنعه أن من وشى به هو الأقرع.. استمع إلى وسوسة النحنوح أيضًا فقرر الانتقام منه!

***

كان عائدًا من المدبغة حاملًا معه بعض أكياس الفاكهة، عندما فوجـــئ برجال معلمه الذين وقفوا أمامه يحاوطونه من كل اتجاه.. استفســـر منه عن السبب.. فقال له: إن الخيانة ثمنها دم في مهنتهم.. حاول الدفاع عن نفســـه إلا أنـــه لم يصدقه.. كانت الحارة كلها مذعورة تشاهد من النوافذ ما يحدث.. أما هي فنزلت للدفاع عنه فأمســـك بها رجال المعلم الذي قرر أن يقوم النحنـــوح بطعنه، حتى الموت وهو ما حدث.. ضرب المعلـــم عصفورين بحجر فقد قتل من خانه من وجهة نظره، وسيتخلص من شر وطموح النحنوح الزائدين..

فالداخلية لن تقف صامتـــة إلا بالقبض عليه.. ارتمـــت عليه وردة وهو يلفظ أنفاســـه بينما لاذ الكل بالفرار.. صرخت فيه: متسيبنيش يا أقرع متسيبنيش.. قال لها بصعوبة: أقابلك في الجنة إن شالله.. خدي بالك من الواد.. علميه وكبريه مطّلعيهوش زينا.. بحبك يا أحلى حاجة في عمري.. ظلت وردة تصرخ ومن خلفها ليلى التي كانت تحتضن مصطفى، حتى لا يرى جثة شيبه الذي لم يعرف أبًا غيره!

***

ظرف مغلق جاءت لتسلمه لي أرملة مندور.. فتحته، وجدت فيه جميع مستندات إدانة البدوي... نشرت المستندات ليحل آخر لغز في القضية.. ألقى أبو الدهب القبض على البدوي.. ثاني جلسات المحاكمة والأخيرة خرج القاضي مثنيًا على الصحافة الحرة ليحكم ببراءة الأخوين شفيق وصديقمهما حسن ربيع، وتثبيت مدة الحكم على شطة لأن القانون لا يسمح بمعاقبته مرتين على نفس الجريمة.. حضرت وردة وليلي والست هنية.. اقتربت من قفص الاتهام وأفهمته أن زوجته أعطتني دليلا لبراءته وأن ولديه منتظران له في الخارج.. خرج الاثنان غير مصدقين أنهما سيخلعان بدلتا الإعدام التي لم يغيراها ل ٨ سنوات هي مدة التقاضي.

أمّا شطة فخرج بمفرده.. نظر لوردة في سخرية فقد كان يعلم أنها تتمنى إعدامه.. كان وجهه لئيمًا كالفأر.. ابتسم في خباثة.. اختطفت من ضابط الحرس طبنجته وأطلقت رصاصتها لترديه قتيلا.. وتصرخ: آاااه يامّا... آاااه يا شيبه.. شعرنا بالرعب مما فعلته وردة.. ظلت ليلى تصرخ بعد أن ألقى الأمن القبض عليها.. أمسكت بيد عبد الوهاب

وقالت لـــه: ليلى ومصطفى أمانة في رقبتك.. كان لازم يحصل كده عشان يعيش حياة طبيعية.. علموه وخلوه زيكو!

***

صدر أمر بضبـــط وإحضار للأســـيوطي، بعد أن توصلـــت التحريات إلى أنـــه وراء مقتل مندور الأمين للشـــرطة وجار شفيق الذي صور المقطع إضافة لتهم الفساد.. عندما علم ظل يضحك في هستيرية، بعد أن تخلى عنه الجميع عدا شـــره.. أمســـك مسدسة وأطلق على نفســـه الرصاص ليصل رجال الشـــرطة، ويجدوه ميتًا ليخطروا (العقيد أبو الدهب) الذي أغلق هاتفة وقال: مكنش في نهاية أنســـب لك من كده.. كل الشـــر ده أكيد مش هتموت موتة كويسة.

أرسل إلى مكتبي علبة شـــوكولاته مكتوبًا عليها: مبروك كســـبتي الرهان بس احنا كمان كســـبنا، مفيش ظابط بيتســـتر على فســـاد أو بيحب يظلم.. احنا بردة ســـاعدناكي في رجـــوع الحق لأصحابه.

لا أعلم لماذا لم أشـــعر بالراحة مـــن داخلي، فقد كنت أتوقـــع بأن المصاعـــب الحقيقية قادمة!

الكنزي
ALKANZY